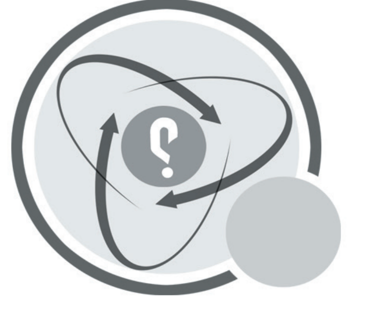


رؤى شرعية في الدراسات المستقبليّة

د/ هاني بن عبد الله الجبير – السعودية

قاضٍ شرعي في المحكمة الكبرى بجدة

ملخص البحث:

لم تُعْطَ الدراسات المستقبليّة في العالم الإسلامي الاهتمام الذي تستحقّه، ولم يُنظر إليها كقاعدة للتقدم والإصلاح؛ نتيجة لما أُصيبت به الأمة في هذا العصر من عدم تبنيها مشروعًا واضحًا لإصلاح عامّ، ينهض بها على كافة الأصْعِدَة يتفق مع رؤاها، وهذا نابع من ضعف التخطيط، وقلة الاهتمام به.

كما لم تحظ الدراسات المستقبلية بدراسة فقهية تُعنى ببيان مشروعيتها، ومنهجيّة البحث فيها، على الرغم من تزايد الاهتمام بهذه الدراسات، وتحولها مع الوقت من مجرّد فروض واجتهادات فكريّة إلى جهود علميّة منظمة.

ولقد تنوعت مصادر التعرف على المستقبل واستكشافه إلى أنواع وطرق متعددة، بعضها غير صحيح كالاعتماد على الكتب السابقة، والنجوم وسيرها، والكتب القديمة، وحساب الجُمَّل، أو الرؤى والمنامات، وطريق آخر هو الطريق المقطوع بصحته، وهو كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله ﷺ.

ولا شك أن الإسلام أولى المستقبل عناية بارزة، فالمسلم ينتظر جزاءً مستقبليًّا وعده الله به، وجعل الإيمان به ركنًا من أركان الإيمان، والقرآن الكريم مليء بالدعوة إلى التفكّر في الأرض والسماء والأحياء، والاعتبار بالسنن الكونية لمعرفة المستقبل.

والظاهر أن حكم هذه الدراسات في عصرنا هذا أنها فرض كفاية؛ لذا يجب على الأمّة بمجموعها إعداد دراسات مستقبليّة، توجِّه القوى الفاعلة فيها لما يجب عليها، وبذل جهدها في إعداد الكوادر القادرة على ذلك.

ومتى توفرت الإرادة الجازمة والنيّة الحسنة فإن الأمة يمكنها أن تتدرّج في الوصول إلى مستقبلها المرغوب، مهما كان بينها وبينه، مستعينة بدراسات مستقبليّة مصوغة صياغة إسلاميّة، ومنضبطة بضوابط الشريعة.

أفكار ومقتطفات

- المطبوعات التي تتناول دراسة المستقبل -على كثرتها- تحظى بانتشار كبير، ويقبل عليها القرّاء، ويُعتنى بدراستها نقدًا أو تأييدًا.

- إنّ من الأشياء ما يغيب عن حس بعض البشر ويدركه بعضهم، ومنه ما يغيب عن الحس ويدرك بالعقل، كالعلم بحصول الكسوف والخسوف ونحوهما مما يستنبط من استقراء السنن الكونية، فهذا ليس من علم الغيب -مع غيابه عن الحس- لأنّه يمكن إدراكه، وهو ما يسمّى بالغيب النسبيّ أو المقيّد.

- لو عرف الإنسان الغيب لم يتهنأ بالعيش، وكيف يتهنأ به، وهو يترقب الموت، والأوجاع، والمصائب وغيرها من الحوادث، فلولا طول الأمل لخربت الدنيا، وإنما عمارتها بالآمال.

- لو كان الإنسان طويل العمر سالم المستقبل -وقد علم بذلك- ووثق ببقاء حاله لانهمك في الشر وأنواع الفساد، وهذا أمر لا تصلح عليه أحوال العالم؛ بل لا يصلح العالم إلا على هذا الذي اقتضته حكمة الله وسبق في علمه.

- إن البشريّة في غيابها عن سبيل الحق، لبّس عليها الشيطان، وسلك بها في سبيل إشباع غريزة حب الاطلاع على المغيّبات مسالك شتّى، وأغراها بأنواع من المصادر لاستكشاف المستقبل.

- ما كان في الكتب السابقة من الأخبار فإنّه إن وافق ما جاء في شرعنا قبلناه، وإن خالفه علمنا أنّه كذب، وإن لم يتضمن موافقة ولا مخالفة فلا نؤمن به ولا نكذبه.

- يستغل الكذابون الطرق الباطلة لمعرفتهم تشوّف الناس لذلك؛ فهم ينوعون في طرق الكذب في ذلك، ويتعمدون الكذب فيه تارة بالإحالة على الحركات والأشكال الجسمانية من حركات الأفلاك والكواكب، والشهب والرعود، والبروق والرياح، وغير ذلك، وتارة بما يحدثونه هم من الحركات والأشكال.

- الأخبار الواردة عن نبينا عليه الصلاة والسلام بالأسانيد الصحيحة مصدر نؤمن بصدقه وصحته لمعرفة الغيب واستشراف المستقبل، لكنه خاضع في فهمه لقواعد فهم النصوص الشرعية، لا لتلاعب الأهواء والظنون.

- إن الإنسان فُتِنَ عبر تاريخه الطويل بالتطلّع إلى المستقبل، وحاول ذلك بوسائل متنوّعة متعدّدة، وإنّ سعيه هذا سعي يتوافق مع الغريزة الإنسانية، ومع طبيعة الأشياء من حوله، والتي تحتّم عليه أن يتطلّع لمستقبله، باذلاً جهده في تطلُّب مصالحه، والتحرز من الشرور التي قد تعرض له.

- في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي ونتيجةً لسرعة التغيّر في هذه الحياة المعاصرة، واشتداد

التنافس بين المجتمعات، ظهرت بدايات لدراسة المستقبل على أسس خاصّة، وكانت تهدف للسيطرة على الصّور الممكنة للمستقبل، عن طريق توجيهها، باتخاذ الأساليب الملائمة لتحفيز الاحتمالات المرغوبة، ومنع أو عرقلة الاحتمالات غير المرغوب فيها.

- (الدراسات المستقبلية) هي مجموعة من الدراسات والبحوث التي تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث، وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات أو حركة مسارها.

-(الدراسة المستقبلية) دراسة تتفادى الأزمات وتقدّم الحلول، وإذا لم تهتم الأمة بقضايا المستقبل، ولم ترسم المسار الصائب الذي عليها سلوكه؛ فإنها قد جانبت الحكمة والاتزان، ووقعت في ضرب من الخلل.

- إنّ الأحداث والوقائع التي يفاجأ بها المجتمع العالمي ليست أمورًا طارئة أو مبهمة، مهما كانت مجالاتها وغرابتها، وإنما هي أحداث متصلة الحلقات يستوعب ترابطها مَن لديه القدرة على الربط والاستنباط.

- من التفكّر والنظر في سنن الله تعالى في الخلق يستفيد الإنسان أنّ معظم التحوّلات التي تتم في هذه الحياة قائمة على معطيات الماضي والحاضر، وهذا يدعوه لدراستها والاستعداد لها.

- لأجل أن تحقق الأمة المصلحة من هذا العلم (علم المستقبل) فلا بد أن تُصاغ هذه الدراسات على أساس التصوّر الذي ينسجم مع هويّة الأمة وتطلعاتها.

- الإسلام لا يجد غضاضةً في الاستفادة من جهود الآخرين، وما يتفق مع أساليبه وأدواته وتطلعاته وأصالته الفريدة التي تتبنى ما هو خير، وتقلع عن كل ما فيه دمار وشر.

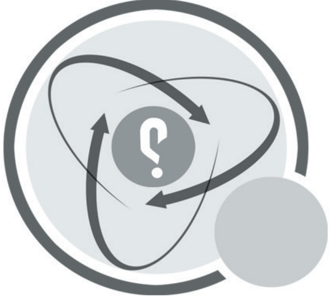
- إنّ الإنسان لن يرتقي بحياته الإنسانية والحضاريّة إلا بتعرّفه على السنن التي أجرى الله عليها حركة الحياة البشريّة من أجل أن يستثمرها ويحسن التعامل معها لتستقيم حياته.

- إذا كنا نطلب أن تُلاحظ السنن الربانية الكونية التي يستقرؤها المعتبرون في أحوال المجتمعات، مع ما قد يعرض لها، فإن السنن الشرعية التي تحمل الصدق المطلق لا بد أن تُعتبر وتُلاحظ، بل وأن تُجعل المعيار الذي يُقاس به صدق استنباط الباحثين للسنن الربانية.

- إذا تأَمّلت أخبار الأمم وأيّام الله في أهل طاعته وأهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسُّنَّة، ورأيته بتفاصيل ما أخبر الله به ووعد به، وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على أنّ القرآن حَقٌّ، وأنَّ الرسول حَقٌّ، وأنّ الله ينجز وعده لا محالة، فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عَرَّفنا الله ورسوله من الأسباب الكليّة للخير والشر.

«ابن القيم»

- لا يمكن حدوث تغيير في أوضاع الأمة العامّة إلا إذا حدث تغيّر في أفرادها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[الرعد: ١١].
- غزو الأجانب للبلاد ودخولهم إليها يدمر أخلاقها، ويقلب أوضاعها الاجتماعية. قال تعالى على لسان ملكة سبأ ﴿ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ ﴾ [النمل: ٣٤]
- فإذا أريد قياس ومعرفة مدى قبول دراسة أو رأي فإنه ينظر إلى ما استند إليه، وما استمد منه فإن كان دليلاً معتبرًا وإلا فلا يُعبأ به.
- يمكن إدراك الخطورة في الدراسات المستقبليّة «حين ندرك التسيّب الحاصل في هذا المجال من طرف المستعملين لمصطلحات اللّغة الأجنبيّة المؤدي إلى إسقاط مصطلحات أعجميّة لم يدركوا معانيها من جميع أبعادها وهذه الفوضى ليست فقط فوضى لغوية فقط، ولكنها فلسفية أيضًا».
- إن كثيرًا ممن تأمل سبب فشل كثير من النظريات الوضعيّة في معالجة المشاكل البشريّة، وتحقيق التوازن المطلوب للإنسان رَدّه إلى الجهل بحقيقة الإنسان وطبيعة تكوينه.
- إن كل ما في هذا الكون إنما يجري بأمر الله تعالى؛ فما كان فيه من أمور تجري على خلاف مراد العبد ومصلحته، فإنّه بإيمانه بالقضاء والقدر يُدرك أن في هذا الابتلاء حِكَمًا عظيمة وتمحيصًا للمؤمنين.
- إذا شرع المسلم في دراسة جاعلاً رضى الله تعالى هدفه، والإخلاص له مقصده تحقق له التوفيق بإذن الله، وإن للالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار بإلحاح وتضرّع وذلة ومسكنة أثرًا عظيمًا في تذليل الصعاب والتوفيق والنتائج.
- لدراسات المستقبل جملة من قواعد البحث يعرفها المختصّون، لا بد من مراعاتها؛ لتكون النتائج مقبولة في ضوء هذا النوع من الدراسة: من أبرزها الشمول، والنظرة الكليّة للأمور، وتفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة، والتعمّق في فهم ما يؤخذ به الواقع من علاقات، والحياديّة، وعدم الانحياز، والمزج بين الأساليب والمزاوجة بينها، والرصد الجيّد للماضي والحاضر باتجاهاته وتجاربه.
- عند صياغة المستقبل المأمول لا بد أن يراعى أن يكون التحوّل متدرجًا متواكبًا مع سنن الله تعالى الكونية، مبنيًّا على إدراك مستوى الواقع ومفرزات ظروفه، والمدة اللازمة لتجاوزها، وإلا صار ضربًا من الخيال والأماني المجردة.
- متى توفرت الإرادة الجازمة والنيّة الحسنة فإن الأمة يمكنها -بتوفيق الله تعالى- مستعينة بدراسات مستقبليّة مصوغة صياغة إسلاميّة، ومنضبطة بضوابط الشريعة؛ أن تتدرّج في الوصول إلى مستقبلها المرغوب مهما كان بينها وبينه.



رؤى شرعية في الدراسات المستقبليّة

د/ هاني بن عبد الله الجبير - السعودية

قاضٍ شرعي في المحكمة الكبرى بجدة

إن مما أصيبت به الأمة الإسلامية في هذا العصر أنّها لا تتبنّى مشروعًا واضحًا لإصلاح عام ينهض بها على كافة الأصعدة، يتفق مع رؤاها، وينسجم مع واقعها، ويراعي خصائصها الثقافية والعقديّة؛ كما أنها لا تتمكن من استغلال إمكاناتها المتاحة لها على الوجه الأمثل.

وهذا نابع من ضعف التخطيط، وقلة الاهتمام به.

ولذا لا يُستغرب أن لا تُعطى الدراسات المستقبليّة الاهتمام الذي تستحقّه، وأن لا يُنظر إليها كقاعدة للتقدم والإصلاح، في الوقت الذي يبذل فيه الغرب أموالاً وإمكانات هائلة في سبيل دراسة المستقبل، ويجعل للدراسات المستقبليّة دورًا بارزًا في رسم الخطط وإعداد الكوادر، وتعبئة الموارد والطاقات على المستوى الرسمي، وكذلك على المستوى الشعبي؛ فإنَّ المطبوعات التي تتناول دراسة المستقبل- على كثرتها- تحظى بانتشار كبير، ويقبل عليها القرّاء، ويُعتنى بدراستها نقدًا أو تأييدًا.

ولذا فقد تحفّز الغيورون من أبناء هذه الأمّة على تلافي مثل هذا الأمر؛ ببذل ما يمكنهم في صعيد الاهتمام والإنشاء، وفي مجال المعالجة والبحث في دراسة المستقبل، وهو وإن كان على المستوى الشعبي أبرز منه على المستوى الرسمي؛ إلا أنه يبقى أمرًا يبشِّر بالخير ويدعو للتفاؤل.

ولمّا كانت هذه الدراسات تحتاج لتأصيل وتأطير يبيّن الضوابط والموجِّهات التي تضبط حركته، وتوجهه نحو الإنتاج المنسجم مع كليّات الإسلام ومقاصده. فإنها مع كونها ليست حديثة النشأة، ولا جديدة البروز؛ إلا أنها لم تحظ بدراسة فقهيّة شرعيّة تُعنى ببيان مشروعيتها، ومنهجيّة البحث فيها.

ولذا فقد جاءت هذه الكتابة الموجزة بين يديك مُحاوِلةً تقديم نظرات شرعية حول دراسات المستقبل، مما أرجو أن يفيد قارئه، وأن يكون تقدمةً لدراسات أكثر جِدًّا وأعمق طرحًا.

وقد جاءت هذه الأكتوبة في:

تمهيد عن تشوّف الإنسان لمعرفة الغيب، والطرق المسلوكة لذلك، وثلاثة مباحث:

أولها: في مفهوم الدراسات المستقبليّة.

وثانيها: في مشروعية الدراسات المستقبليّة.

وثالثها: في المنهجيّة الإسلامية للدراسات المستقبليّة.

ثم خاتمة موجزة.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا يوم العرض عليه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد: في تشوّف الإنسان لمعرفة الغيب والطرق المسلوكة لذلك

من قواعد العقيدة الإسلاميّة وأصولها التي أجمع عليها المسلمون أنّ الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم الغيب دون خلقه، فلا يعلم الغيب أحد سواه، فهو المنفرد بذلك وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقد أخبرنا تعالى أنّه المتفرّد بعلم ما كان، وما يكون، ولم يُطْلعْ على ذلك إلا من شاء من عباده فقال: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، فالنبي لا يعلم من الغيب شيئًا إلا ما أطلعه عليه رب العالمين ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ولذا أمر الأنبياء بالاعتراف بذلك كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال: ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٠]، وقال: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال عن لسان عيسى ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن النبي ﷺ يعلم ما يكون في غدٍ؛ فقد أعظم على الله الفرية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]» (١). ولما سأل جبريلُ رسول الله ﷺ عن وقت الساعة؛ قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» (٢). أي تساوى في العجز عن إدراك ذلك علم المسئول والسائل. (٣)

مع أن الله تعالى أطلع بعض أنبيائه على شيء من الغيب ليكون دليل نبوته كما قال تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٨]. وكما ورد عن إخبار نبينا عليه الصلاة والسلام عن كثير مما يكون في زمنه وبعده، ومما يكون في الآخرة.

والغيب الذي تفرّد به الله بعلمه هو ما لا يُدرك بالحسّ، ولا بالتجربة والمقايسة، فإنّ من الأشياء ما يغيب عن حسّ بعض البشر ويدركه بعضهم، ومنه ما يغيب عن الحس ويُدرك بالعقل، كالعلم بحصول الكسوف والخسوف ونحوهما مما يُستنبط من استقراء السنن الكونية، فهذا ليس من علم الغيب -مع غيابه عن الحس- لأنّه يمكن إدراكه، وهو ما يسمّى بالغيب النسبيّ أو المقيّد.

مع أنّ الإدراك المستقبلي ظنّيٌّ وليس قطعيًّا؛ لجواز تخلف الأسباب، أو الخطأ في التقدير مثلاً، ولذا لا يجزم به الإنسان، قال في فتح الباري(٤): «إن لبعض الغيوب أسبابًا قد يُستدلّ بها عليها لكن ليس ذلك حقيقيًّا».

قال ابن تيمية: «..لا يعلم أحد الغيب إلا الله، وهذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين، الذي قال فيه: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾.

والغيب المقيّد: ما علمه بعض المخلوقات، من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنّما هو غيب عمّن غاب عنه، ليس غيبًا عمّن شهده، والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا ». (٥)

وما يقع في المستقبل مما لا يرتبط بالتجربة والمقايسة ونحوها من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤] ». (٦) وقال قتادة: أشياء استأثر الله بهن فلم يُطلع عليهن ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة، أو في أي شهر، أو ليل أو نهار، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهارًا، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكرٌ أم أنثى، أحمر أو أسود، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخيرٌ أم شر، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه. (٧)

التطلّع إلى المستقبل:

إن من الفِطَر المركوزة في بني البشر تطلّعهم إلى معرفة المجهول، وتشوقهم إلى معرفة المستقبل، وتشوفهم إلى إدراك ما سيصير إليه حالهم، فليس من البشر أحدٌ إلا وهو يتطلّع ويشتاق إلى معرفة ماذا سيكون، وهذا أمر مركب في النفوس لا ينكره أحد، ومن هنا جاء الادخار، بل التجارة والحرث والزراعة كلها مبنيّة على تطلع الإنسان للمستقبل، وسعيه ليكون مستقبلاً مناسبًا له، ولذا تنوعت طرق الناس في محاولة معرفة الغيب، كما سيأتي إن شاء الله.

ومن حكمة الله تعالى ورحمته أن حجب الغيب عن عباده، ومنعهم من العلم بأكثره، وفي ذلك من الحكمة البالغة ما لا يحتاج إلى نظر، فلو عرف الإنسان ذلك لم يتهنأ بالعيش، وكيف يتهنأ به وهو يترقب الموت والأوجاع والمصائب وغيرها من الحوادث، فلولا طول الأمل لخربت الدنيا، وإنما عمارتها بالآمال.

وكذلك لو كان طويل العمر سالم المستقبل، وقد علم بذلك ووثق ببقاء حاله لانهمك في الشر وأنواع الفساد، وهذا أمر لا تصلح عليه أحوال العالم؛ بل لا يصلح العالم إلا على هذا الذي اقتضته حكمته وسبق في علمه. (٨)

ولذا منع الله تعالى عباده من علم الغيب؛ لأنه ليس من شأنهم، ولا فيه مصلحةٌ لهم. ولم يُظهر لهم سبحانه منه إلا ما اقتضت حكمته أن يطّلعوا عليه؛ بخبر منه في كتابه، أو ببيان من نبيه ﷺ.

إنّ الإدراك المستقبلي ظنّيٌّ، وليس قطعيًّا؛ لجواز تخلف الأسباب، أو الخطأ في التقدير مثلاً، ولذا لا يجزم به الإنسان

ولكن البشريّة في غيابها عن سبيل الحق، لبّس عليها الشيطان، وسلك بها في سبيل إشباع غريزة حب الاطلاع على المغيّبات مسالك شتّى، وأغراها بأنواع من المصادر لاستكشاف المستقبل، وقد جرت سنة الله تعالى أنّ من تكلّفها ظلم نفسه، وبخس من التوفيق حظّه، ولم يحصل إلا على الجهل المركب والخيال الفاسد في أكثر أمره، وجرت سنّة الله تعالى وحكمته أنّ هذا الضرب من النّاس أجهلهم بالعلم النافع وأقلهم

صوابًا، ولا يعرف هذا إلا من اطّلع على ما عند القوم من أنواع الخيال وضروب المِحال وفنون الوساوس والهوى والهَوَس والخبط، وهم يحسبون أنّهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون، فالحمد لله الذي مَنّ على المؤمنين ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: ١٦٤]. (٩)

الطرق المسلوكة لمعرفة المستقبل:

تنوعت مصادر التعرف على المستقبل واستكشافه التي سلكها البشر إلى أنواع وطرق متعددة يصعُبُ حصرها وتعدادها، إلا أننا يمكننا أن نفرزها باعتبار صحة الاستدلال بها، وسلامة استعمالها لبلوغ المقصود منها، إلى طريقين إجماليين:

الطريق الأوّل: الاعتماد على الطرق غير الصحيحة، وهي الطرق غير المشروعة، والتي لا يظهر لها ارتباط بالإدراك المحسوس أو المعقول، بل مبناها على الحدس والتخمين، أو استعمال الجن ونحو ذلك.

ومنها:

١- الاعتماد على الكتب السابقة: فإنّ الكتب السابقة، وإن كانت مأخوذة عن الأنبياء؛ فمن المعلوم قطعًا أنّ أهل الكتاب حَرّفوا وبَدّلوا وكذبوا وكتموا. ولذا فما كان في هذه الكتب من الأخبار فإنّه إن وافق ما جاء في شرعنا قبلناه، وإن خالفه علمنا أنّه كذب، وإن لم يتضمن موافقة ولا مخالفة فلا نؤمن به ولا نُكَذِّبه. (١٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم**». (١١)

قال ابن حجر: «أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يُرِد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه». (١٢)

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحذرون رواية الأخبار الإسرائيليّة، وينهون عن سؤال أهل الكتاب عن شيء مما عندهم من الأخبار، قال ابن عباس: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضًا لم يُشَبْ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً». (١٣)

٢- الاعتماد على النجوم وسيرها في معرفة ما يكون في المستقبل مما يتعلق بالإنسان حياة وموتًا وسعدًا ونحسًا، ونحو ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد**». (١٤)

قال ابن تيمية: «فقد صرّح رسول الله ﷺ بأنّ علم النجوم من السّحر وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [سورة طه: ٦٩]». (١٥)

٣- الاعتماد على الكتب القديمة المزعوم تضمنها لعلم الغيب أو لشفرات تدلّ عليه وكذلك الأحاديث الضعيفة والباطلة؛ كالجداول والجفر والجامعة، وغيرها من الكتب التي يدَّعي أصحابها أنها تضمنت خبر ما سيكون إلى قيام الساعة صراحة أو ترميزًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ونحن نعلم أنّه أضيف إلى جعفر الصادق من جنس هذه الأمور ما يعلم كل عالم بحال جعفر -رضي الله عنه- أنّ ذلك كذب عليه، والعلماء يعلمون أنّه بريء من ذلك كله... وكذلك نسب إليه «الجداول» الذي بنى عليه الضلال طائفة من الرافضة، وهو كذب مفتعل عليه.. وكذلك أضيف إليه كتاب «الجفر، والبطاقة، والهفت»، وكل ذلك كذب عليه باتفاق أهل العلم به». (١٦)

والجفر: ولد الماعز، يزعمون أنه كتب ذلك في جلده. (١٧)

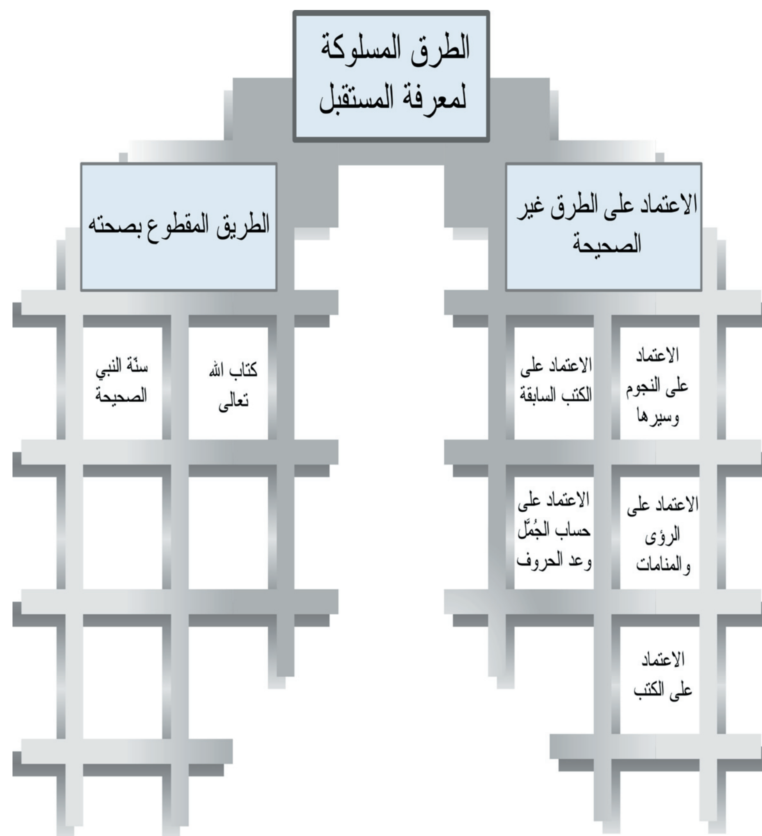
وعلم الجفر والجامعة هو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان، وما يكون كليًّا وجزئيًّا.

وقد ادّعى طائفة أنه يُستخرج منهما بطرق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظٌ تدل على ما في لوح القضاء والقدر، وقد اختلف الناس في طرق استخراج وتحليل رموزه، وفك أسراره على طرق كثيرة، قيل: كلها توصل إلى المطلوب! (١٨)

وذلك بحساب عدد حروف، أو كلمات لفظ أو ألفاظ في القرآن الكريم، أو في الكتب السابقة، أو اسم الشخص وغير ذلك. (٢٠)

فمن ذلك الاستدلال على معرفة المُدَد وأوقات الحوادث والفتن من الحروف المقطّعة أوّل السور. (٢١)

ومنها استدلال اليهود على مدة بقاء ملك الإسلام وأمته من ذلك، وأنّه سبعمائة وأربع سنين. (٢٢)



٤- الاعتماد على حساب الجُمَّل(١٩) وعد الحروف:

وهو يعتمد على ما يسمّى بأسرار الحروف، ويكثر استعماله لدى المتصوّفة، وكان أصله من علوم اليهود.

وذلك لأن اليهود يستعملون ذلك في معرفة المستقبل بقراءات خاصّة للأسفار القديمة في علم يسمّى (الكبالة).

ومثل هذا ما صنع بعضهم من أنّ الرقم (١٩) يستفاد منه من خلال حساب حروف وكلمات في

القـرآن وأرقام الآيات إلى معرفـة (موعد نهاية العالم وقيام الساعة). (٢٣)

وهذه الطرق المسـتعملة مبناها التلاعب والتحكم والدجـل؛ ولـذا فإن مسـتعمليها «لا تـزال أحكامهم كاذبـةً متهافتـةً، حتـى إن كبير الفلاسـفة: يعقوب بن إسحاق الكندي(٢٤) عمل تسييرًا لهذه الملّة، زعم أنها تنقضي عام ثلاثة وتسعين وستمائة، وأخذ ذلك منه من أخرج (مخرج الاستخراج) من حروف كلام ظهر في الكشـف لبعض من أعاده... فهذه الأمور التي توجد في ضُـلال اليهـود والنصـارى، وضُلال المشـركين والصابئيـن من المتفلسـفة والمنجمين: مشـتملة من الباطل على ما لا يعلمه إلا الله». (٢٥)

٥- الاعتماد على الرؤى والمنامات:

وهـي طـرق قد تسـتعمل لاستشـراف المسـتقبل، وهـي وإن كانـت قـد يقبل بهـا مبدئيًا، لكن لا يسـلّم بهـا واقعًا؛ لما يـرد عليها مـن الاحتمـالات، ولما قد يعرض في تعبيرها من تخليطات، ولذا فليسـت طريقًا يعتمد عليه.(٢٦)

إنّ كل هـذه الطرق المذكورة طـرق باطلة ومصادر لا تُعتمد في استكشاف المستقبل، وتبيّن الغيب، وإن كان لا يجزم بكذبها أيضًا، إلاّ إذا وجد ما يكذّبها.

وهـذه الطرق الباطلة يسـتغلها الكذابـون لعلمهـم لتشـوّف النـاس لذلـك؛ كمـا «ينوعـون طـرق الكـذب فـي ذلـك، ويتعمـدون الكـذب فيـه تـارة بالإحالـة علـى الحـركات والأشـكال الجسـمانية مـن حـركات الأفـلاك والكواكـب، والشـهب والرعود، والبـروق والريـاح، وغير ذلك، وتـارة بما يحدثونـه هم مـن الحركات والأشـكال، كالضـرب بالرمل والحصى والشـعير، والقرعة باليد ونحو ذلـك، مما هو من جنس الاستقسـام بالأزلام؛ فإنهـم يطلبون علـم الحـوادث بما يفعلونـه من هذا الاستقسام بها». (٢٧)

ولذا يصـدر عن هذه الطـرق: كثير مـن الخرافات والأسـاطير والاعتقـادات الفاسـدة والأوهـام، كما يشاهد عند من يعتمد على مثل: تنبؤات نوستراداموس، ورؤيا كوهين اللاهوتي ونحوها.

الطريق الثاني: **الطريق المقطوع بصحته**:

وهو ما جاء في كتاب الله تعالى وسنّة رسـوله ﷺ الصحيحة، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن أوحى إلى نبيّـه بخبر ما يُحتاج إليه مما سـيكون؛ إما على سـبيل الإجمـال أو التفصيل، وكل ما أخبـر به عليه الصلاة والسـلام فـلا مجال للشـك فيـه، فإنّـه لا ينطق عن الهـوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤]. وهـذا من تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله.

من رحمة الله تعالى بعباده أن أوحى إلى نبيّه بخبر ما يُحتاج إليه مما سيكون؛ إما على سبيل الإجمال أو التفصيل

والـوارد عـن النبـي ﷺ مـن أمـور المسـتقبل شيء كثير.(٢٨)

وقد نقل الصحابة إخبار النبي ﷺ لهم بذلك.

فمن ذلك ما رواه عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ يومًـا الفجـر، وصعـد علـى المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشـمس، فأخبرنـا بمـا كان، وبمـا هـو كائن إلـى يـوم القيامة فأعلمنا أحفظنا». (٢٩)

وعـن حذيفة رضي اللـه عنه قال: «قام فينا رسـول اللـه ﷺ مقامًـا فما تـرك شـيئًا يكون مـن مقامه ذلك

إلـى قيام السـاعة إلاّ حَدّثه، حفظه من حفظه، ونسـيه من نسـيه، قد علمه أصحابي هـؤلاء، وإنّه ليكون منه الشـيء قد نسـيته فأراه، فأذكر، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه». (٣٠)

وهذه الأخبار الواردة عن نبينا عليه الصلاة والسلام بالأسـانيد الصحيحة مصـدر نؤمن بصدقـه وصحته لمعرفـة الغيب واستشـراف المسـتقبل، لكنه خاضع في فهمه لقواعد فهم النصوص الشـرعية، لا لتلاعب الأهواء والظنون.

المبحث الأول

مفهوم الدراسات المستقبليّة:

تقدّم آنفًا أن الإنسان فُتِنَ عبر تاريخه الطويل بالتطلّع إلى المسـتقبل، وحاول ذلك بوسائل متنوّعة متعدّدة، وأنّ سعيه هذا سعي يتوافق مع الغريزة الإنسانية، ومع طبيعة الأشـياء من حوله، والتي تحتّـم عليه أن يتطلّع لمسـتقبله، باذلاً جهده في تطلُّـب مصالحه، والتحرز من الشرور التي قد تعرض له.

وفي النصـف الثاني مـن القرن العشـرين الميلادي ونتيجةً لسرعة التغيّر في هذه الحياة المعاصرة، واشتداد التنافـس بين المجتمعـات، ظهرت بدايات لدراسـة المستقبل على أسس خاصّة، وكانت تهدف للسيطرة على الصّور الممكنة للمسـتقبل، عن طريق توجيهها، باتخـاذ الأسـاليب الملائمـة لتحفيـز الاحتمـالات المرغوبـة، ومنـع أو عرقلـة الاحتمـالات غيـر المرغوب فيها. (٣١)

وبمـرور الوقـت تزايد الاهتمـام بهذه الدراسـات فتحوّلـت مـن مجـرّد فـروض واجتهـادات فكريّـة إلـى جهـود علميّـة منظمة، حتى أنشـئت مـن أجلها معاهد ومؤسسـات علميـة، ووضعت فيها عشـرات الدراسـات والمقـالات والمؤلفات، وبـرز فيها عدد من المتخصصين.

وقد تأخـر العالم الإسـلامي في هـذا المجال فلم تُعـرف فيه هـذا النوع مـن الدراسـات إلا قبل ثلاثين عامًا تقريبًا. (٣٢)

ويلاحظ المتتبع لحركة الدراسـات المسـتقبليّة أنّ الاهتمام بها قد بدأ بالمؤسسـات العسـكريّة وشـئون الحرب والأمن، ثم انضم إليهـا بعد ذلك عالم المال ورجال الأعمـال، ثم مجالات الصناعـة؛ ليظهر بعد ذلك الاهتمام بالمجتمعات قِيمًا وثقافة. (٣٣)

تعريـف الدراسـات المسـتقبليّة (Future Studies):

دراسـة المسـتقبل قد تكون للأفراد والمؤسسـات الصغرى، كدراسات الجدوى الاقتصاديّة مثلاً، والتي يتم فيها إجـراء مجموعة من الاختبارات والتقديرات للحكم على صلاحية مشـروع اسـتثماري مقترح، أو قرار استثماري.

وكدراسـة الاحتياجات الخدماتيـة –مثلاً– لبلد أو قطاع محدد، وكدراسة الخطط العسكريّة والأمنيّة في معركة معيّنة مثلاً.

وكلها دراسات تتناول أمورًا تحصل في المستقبل، ولكنها ليسـت موطن بحثنا، بل يختص بحثنا بدراسة مستقبل المجتمعات. (٣٤)

ونحتاج لتعريف الدراسـات المستقبلية إلى تحليل مفرداته أوّلاً، ثم تعريفه جملة بعد ذلك.

فالدراسـة: هـي فهـم الشـيء، وتعاهـده حتـى يسهل ويتمهّد. (٣٥)

والمستقبل: هو ما واجهك، فما تستقبله من أيام هو مستقبلك؛ لأنك تواجهه. (٣٦)

ويسمى كل ما يأتي من الزمان: بالمستقبل. (٣٧)

وقد عرّفت هذه الدراسات بعدة تعريفات تدور حول كونها محاولة للتنبؤ بما ستكون عليه حالة المجتمع الإنساني، ومصير الإنسان فيه، عن طريق دراسة الماضي ونتاج الحاضر، والظواهر والبدائل الممكنة.

وعرفت بأنها: مجموعة من الدراسات والبحوث التي تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث، وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات، أو حركة مسارها.(٣٨)

وعرفت بأنها: اجتهاد علمي منظّم، يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبّؤات المشروطة، والتي تشمل المعالم الرئيسيّة لأوضاع مجتمع، أو مجموعة من المجتمعات، وعبر فترةٍ مقبلة تمتد قليلاً لأبعد من عشرين عامًا، وتنطلق من بعض الافتراضات حول الماضي والحاضر، ولاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبليّة على المجتمع، ونوعية وحجم التغيرات الأساسية الواجب حدوثها في مجتمع ما، حتى يتشكّل مستقبله على نحو معيّن منشود. (٣٩)

وقد عرّفها معجم أكسفورد الموجز على أنّها: التكهّن المُمَنْهج للمستقبل، وخاصّة من منطلق الاتجاهات الحاليّة في المجتمع.

وعرفت بأنها: العلم الخاصّ بالتنبّؤ بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المستقبل، ويستند في دراستها على الاستقراء والاستنباط بجمع الوقائع المتعددة ليستخلص منها المبادئ التي تحكمها، ويخرج بعد ذلك بالصور التي سيكون عليها المجتمع في الأجيال القادمة.(٤٠)

كما عُرّفت بأنّها: محاولة علميّة تتكامل فيها الدراسات؛ لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها، والتعرّف على مجرى الحركة التاريخيّة من خلال دراسة الماضي، وملاحظة سنن الكون، والانطلاق من ذلك كله إلى استشراف المستقبل، وصولاً إلى طرح رؤية له، تتضمّن توقعات يُحتمل حدوثها وبدائل وخيارات وأحلامًا يُجرى التطلّع لتحقيقها.(٤١)

«فالاستشراف إذًا ليس مجرد رسم تخيلات مستقبلية يضيف بها الإنسان إلى معارفه، ويرضي بها النزعة البشرية التوّاقة إلى كشف ستر الغيب، وهو لا يقف عند حد إعمال الفكر والخيال، واستخدام الحساب والقياس لبرامج المستقبل وآفاقه كافة، وبلورة نقاط الالتقاء التي تميز بين الأساسي والثانوي، والتي تنتشل ما هو علمي مما هو دون ذلك، والتي تغلّب نظرات تتسم بالشمول والإحاطة على تلك التي تتصف بالجزئية ويشوبها القصور... إن الاستشراف يتجاوز ذلك إلى تناول مشاهد المستقبل وتوقعاته المطروحة في أذهاننا، وإلى إعادة قراءة الواقع بكل جوانبه: الحضارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، بالقدر الذي يخدم إمكانية التعرف على ما يقدر أنه «وضع مرغوب»، وعلى آليات الوصول إلى ذلك». (٤٢)

وهذه الدراسات قد تكون بهدف توعية المجتمع وتوجيهه، وذلك بإطلاع القُوَى الفاعلة في المجتمع على متطلبات تحقيق إحدى الصور المأمولة فيه.

وقد تكون مقدمة لجهة رسميّة لتتبنى على ضوئها قرارات وتوجيهات معينة.

تسميات الدراسات المستقبلية:

لما كانت بداية هذه الدراسات غير عربيّة فإنها تُرجمت بعدة ترجمات تحاول أن تأتي باللفظ المعبّر عن المراد بدقة.

والاسم الذي شاع لهذه الدراسات في اللغة الإنجليزية هو: «Futuroloqy» وترجمتها النصيّة: علم المستقبل.

وقد انتقد بعض الباحثين تسميته بالعلم، كما انتقد ترجمة هذا الفن إلى الدراسات المستقبليّة، وبيّن تعدد المصطلحات العربيّة الدالة على هذا المفهوم، كاستشراف المستقبل، وكالدراسات الارتياديّة،[٤٣] وتشوّف المستقبل، ورؤية المستقبل، وصنع المستقبل.

وحاول بعض الباحثين أن يجعل الدراسة المستقبليّة على مراحل، ويطلق على كل مرحلة منها لقبًا من الألقاب السابقة؛ أخذًا من دلالته اللغوية.[٤٤]

ومهما يكن فإن تسمية هذا النوع من البحوث بالدراسات المستقبليّة صار من أشهر الألقاب عليه، ولا يرد عليه محظور إطلاق العلم على ما لا يمكن العلم به قطعًا.

حاول بعض الباحثين أن يجعل الدراسة المستقبليّة على مراحل، ويطلق على كل مرحلة منها لقبًا من الألقاب السابقة أخذًا من دلالته اللغوية

أنواع الدراسات المستقبليّة:

يميّز الباحثون في مجال الدراسات المستقبليّة بين ثلاث صور من المستقبل: مستقبل متوقّع، ومستقبل ممكن، ومستقبل مرغوب فيه.

فالمستقبل المتوقّع: هو المصير الذي يُتوقع أن يؤول إليه واقع معين؛ في ظل ظروف ومعطيات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وثقافيّة.

وفيه يكون سؤال الباحث: ما هي صورة المستقبل المتوقع؟ أو: أين سنذهب؟

والبحث فيه ودراسته يعتمد الاستقراء؛ إذ يعمد الباحث إلى جمع البيانات والمعلومات وتحليل اتجاهات المتغيّرات ونحوها؛ ليتوصل بها إلى تنبّؤات مستقبليّة باستعمال التحليل الإحصائي وتكوين النماذج.

والمستقبل الممكن: هو المصير الذي يمكن أن يؤول إليه هذا الواقع في حال التدخّل لتغيير الظروف والمعطيات التي يعيشها. وهو يمثّل البدائل التي يمكن حصولها في المستقبل في حال تدخّل معين.

وهو كذلك يعتمد الاستقراء.

ويطلق على هذين النوعين: الدراسات الاستكشافيّة، أو الاستطلاعيّة.

أما المستقبل المرغوب فيه: فهو المصير الذي تأمل الأمّة أن تصير إليه بعد إحداث تغييرات في ظروف الواقع ومعطياته العامة.

والبحث فيه ينطلق من ترتيب الأهداف الأساسية؛ وفقًا لأهميتها ترتيبًا تسلسليًا، وهنا تتدخّل القيم والاعتقادات في تحديدها، ثم تحدد الأعمال المطلوبة لتحقيق كل هذه الأهداف.

ويطلق عليها الدراسات الاستهدافيّة أو المعياريّة.[٤٥]

ولكل نوع من هذه الأنواع أساليب في البحث توصّل له، فبينما تبدأ الدراسة في البحوث الاستطلاعية، أو الاستكشافية من الحاضر؛ لتصوغ منه صورة المستقبل المتوقعة أو الممكن تحقيقها، نجد أنّ البحوث المعيارية أو الاستهدافية تبدأ أوّلاً برسم صورة المستقبل المرغوب في تحقيقه، ومنها تنتقل إلى الحاضر لتحدد التغييرات المطلوبة.

المبحث الثاني

مشروعيّة الدراسات المستقبليّة:

الدراسات المستقبليّة علم يعتمد الواقع، ويتعامل مع المعلومات في إطارٍ منهجيّ علمي، فليست هروبًا من الواقع للخوض في واقع محتمل، بل هي دراسة تتفادى الأزمات وتقدّم الحلول، وإذا لم تهتم الأمة بقضايا المستقبل، ولم ترسم المسار الصائب الذي عليها سلوكه فإنها قد جانبت الحكمة والاتزان ووقعت في ضرب من الخلل.

ويتأكد هذا عندما نعلم أنّ الأحداث والوقائع التي يفاجأ بها المجتمع العالمي ليست أمورًا طارئة أو مبهمة، مهما كانت مجالاتها وغرابتها، وإنما هي

أحـداث متصلة الحلقات يسـتوعب ترابطها مَن لديه القدرة على الربط والاستنباط.

وإذا تأملنا السـعي الحثيث والتنافس بين الأمم في تحقيـق أهدافهـا، والسـيطرة على الآخريـن وفرض نفوذهـا وتوجهاتها الفكريـة وأنماطهـا الاجتماعيّة؛ أدركنا أهمية رسم خطط المواجهة، وطرق النهوض.

ويكفي الاطلاع على شبكة المعلومات (الإنترنت) للتأكـد مـن الانتشـار الواسـع للمراكـز والمراصـد والمعاهـد، والمؤسسـات التـي تُعنـى بالدراسـات المستقبليّة، بل إن دول العالم تعتمد على هذا النوع من الدراسـات في وضع خططها في مختلف القطاعات، وتحديـد علاقاتهـا مـع مختلـف الـدول وكيفيـة التعامل معها. (٤٦)

ومع أنّ الدراسات المستقبليّة ليست إلا علمًا ظنيًّا، محتملاً الصواب والخطـأ، فإنها مع ذلك مفيدة حتى في حال خطئها؛ ولذا يقول أحد روّاد هذه الدراسات: «في معالجة أمور المستقبل.. فإنّ النظريات لا تحتاج لأن تكـون صحيحـة مائـة فـي المائة؛ لتكـون مفيدة إلـى أبعد الحـدود، حتـى الأخطـاء لهـا فوائدها... إن الخرائـط التـي رسـمها للعالم جغرافيـو العصور الوسطى كانت أبعد ما تكون عن الدقّة، وكانت مليئةً بالأخطـاء.. ولكـن من دونها لـم يكن مـن الممكن لعظمـاء المكتشـفين أن يكتشـفوا الدنيـا الجديـدة، بـل لم يكن من الممكن أن تُرسـم الخرائـط الحديثة والأكثر دقّة». (٤٧)

وإذا أردنـا بيان مشـروعيّة الدراسـات المسـتقبليّة وحكمها التكليفي؛ فإننا نحتاج لتقسيمها كما يلي:

أولاً: نظرة الإسلام للمستقبل:

لا شكّ أنّ الإسلام أَوْلَى المستقبل عناية بارزة جدًّا، بل تجاوز هذه الدنيا إلى ما بعدها، فالمسلم ينتظر جزاءً مستقبليًّا وعده الله به، وجعل الإيمان به ركنًا من أركان الإيمـان، لا يصح إيمانه بدونه، قـال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾

[الحشر: ١٨]

والقرآن الكريم مليء بالدعوة إلى التفكّر في الأرض والسـماء، والأحيـاء والأنفـس ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[يونـس: ١٠١] ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعـراف: ١٨٥]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمـران: ١٩١] ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾[الـروم: ٩]، ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَا ﴾

[الحج: ٤٦]

ومـن هـذا التفكّر والنظر في سـنن اللـه تعالى في الخلق، يسـتفيد الإنسـان أنّ معظم التحـوّلات التي تتـم في هـذه الحيـاة قائمة علـى معطيـات الماضي والحاضر، وهذا يدعوه لدراسـتها والاسـتعداد لها.

واللـه تعالـى أمـر بالاسـتعداد لمـا سـيأتي ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾

[الأنفال: ٦٠]

ودراسـة المسـتقبل ليسـت من أجل رؤيتـه بصورة محددة ودقيقة، فهذا مما اسـتأثر اللـه بعلمه، وإنما هو لأجل تقديم احتمالات مشروطة يستفيد منها الإنسان؛ «لأنّـه إذا علـم مـا يكون من حـادث في المسـتقبل أو كائـن بعد الأيـام، أمكنه أن يدفع عن نفسـه بعضها، لا بأن يمنـع ويدفع كونهـا، ولكن يتحرّز منها أو يسـتعد لهـا، كما يفعـل سـائر الناس، حيـن يسـتعدون لدفع برد الشـتاء بجمع الدثـار، ولحر الصّيف بأخـذ الكِنّ،

ولسني الغلاء بالادخار، ولمواضع الفتن بالهرب منها، والبعد عنها وترك الأسفار عند المخاوف وما شاكل ذلك، مع علمهم بأنّهم لا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم وعليهم». (٤٨)

ولست هنا بصدد الرد على أعداء الدين الذين يروجون لمقالة أنّ الحضارة الإسلامية لاعتبارها حضارة دينيّة، فهي حضارة «ماضويّة» ليست قادرة على إرساء قواعد علمية لدراسة المستقبل؛ لأن بطلانه ظاهر لكل منصف درس حضارية الإسلام وعقيدته، لكني سأسرد أمثلة قليلة تبين عناية الإسلام بالمستقبل واهتمامه به، وسأجملها في الأنواع التالية، والتي يندرج تحت كل نوع منها أدلة وشواهد:

١- ما ورد من الاعتبار بالسنن الكونية لمعرفة المستقبل:

ومن أمثلة هذا الاعتبار ما وقع في أول البعثة فإنّ النبي ﷺ رجع لخديجة بعدما جاءه المَلَك يرجف فؤاده، وأخبرها خبر ما حصل له، فقالت خديجة رضي الله عنها: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرَّحِم. وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق؛ فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وكان امرءًا تنصّر في الجاهليّة، وكان يكتب الكتاب العبراني، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: **أومخرجيّ هم** ؟ قال: نعم، لم يأت رجلٌ بمثل ما جئت به إلا عودي». (٤٩)

فورقة قد استدل بالسنن الكونيّة التي لا تتبدّل على إيذاء المبلِّغ لدين الله والناصح للناس.

ومثله ما ورد في قصّة الغلام الذي انتدبه ملك ممن كان قبلنا ليعلِّمه الساحر السحر، وكان على طريقه إذا سلك راهب، فلما قعد للراهب وسمع منه أعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب: فأخذ حجرًا فقال: اللّهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بنيّ أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك سَتُبتلى، فإن ابتليت فلا تدلَّ عليّ. (٥٠)

إنّ النظريات لا تحتاج لأن تكون صحيحة مائة في المائة لتكون مفيدة إلى أبعد الحدود، حتى الأخطاء لها فوائدها

قال القرطبي في شرحه للحديث: «نبينا ﷺ ذكر هذا الحديث كله في معرض الثناء على الراهب والغلام على جهة الاستحسان؛ لما صدر عنهما، فلو كان شيء مما صدر عنهما من أفعالهما محرمًا أو غير جائز في شرعه لبيّنه لأمته، ولاستثناه من جملة ما صدر عنهما، ولم يفعل ذلك، فكلّ ما أخبر به عنهما حجّة ومسوّغ الفعل». (٥١)

٢- اجتهادات الصحابة المبنيّة على استشراف المستقبل:

ومن أمثلة هذا أنه لما فتح المسلمون أرض السواد(٥٢) أراد عمر رضي الله عنه أن يقسمها بين الفاتحين غنيمةً لهم، كما قسم النبي ﷺ خيبر لما فتحت، باعتبارها قد فُتحت عنوة، ثم إنّه رأى أن قسمة تلك الأراضي العظيمة وما يأتي بعدها والتي تُدِرّ دخلاً عظيمًا بخلاف مصلحة المسلمين في المستقبل؛ إذ يفضي ذلك إلى انتفاع قلة من المسلمين بها -وهم

الفاتحون وذرياتهم- ويبقى من يأتي من المسلمين معدمًا، فأوقفها وضرب عليها الخراج ليكون موردًا من موارد بيت المال، ووافقه على ذلك علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.

روى البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي ﷺ خيبر».(٥٣)

وروى أبو عبيد قال: لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر: اقسمه بيننا فإنا افتتحناه عنوة قال: فأبى، وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ وقال: تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء؟(٥٤)

قال ابن حجر: «عمر رضي الله عنه.. عارض عنده حسن الظن لآخر المسلمين فيما يتعلّق بالأرض خاصّة، فوقفها على المسلمين وضرب عليها الخراج الذي يجمع مصلحتهم.. وروى أبو عبيد أن عمر أراد قسمة الأرض، فقال معاذ: إن قسمتها صار الرّيع العظيم في أيدي القوم فيبتدرون -أي يهلكون- فيصير إلى الرجل الواحد أو المرأة، ويأتي القوم يسدون من الإسلام مسدًّا فلا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم، فاقتضى رأي عمر تأخير قسم الأرض، وضرب الخراج عليها لمن يجيء بعدهم».(٥٥)

وهذا الفعل من عمر رضي الله عنه فيه استشراف ظاهر لمستقبل الأمة، ورعاية لحق الأجيال القادمة في ثرواتها بعدم استنزافها من قبل أوّل جيل.

٣-ما ورد من الاستعداد لما عُلم حصوله بالرؤى الصادقة:

وهذا يفيدنا بتحديد المواقف المطلوبة لمواجهة القدر المحتوم باختيار أحد الممكنات، فإن للواقع الواحد مستقبلات ممكنة، ومثال هذا قصّة يوسف عليه السلام، فإن رؤيا الملك للبقرات السمان والسنبلات الخضر أوّلها بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع السمان بأكل ما جُمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة.(٥٦)

هذا تعبير الرؤيا ومضمونها أن الملك سيواجه مستقبلاً يهلك فيه الناس جوعًا، فأمامه خياران الأول: أن ينتظر حصول ذلك، والثاني: أن يتخذ تدابير لهذا القحط المقبل.

فكان موقف يوسف عليه السلام تحديد التدابير لمواجهة القحط بترك ما حُصِد في سنين الخصب في سنبله؛ لئلا يأكله السوس، وهذه نصيحة منه وليست من تعبير الرؤيا.(٥٧)

حقيقة سد الذرائع تحريم أمر مباح لما يفضي إليه من مفسدة، والإفضاء أمر غيبي، وقد لا يعلم تحققه قطعًا

فهنا تدخل يوسف عليه السلام لاختيار بديل مستقبلي، وهذا نوع من استشراف المستقبل، بتحديد بديل مناسب يسعى للاستعداد له.

٤- أن باب سد الذرائع مبناه التطلع للمستقبل:

وحقيقة سد الذرائع تحريم أمر مباح لما يفضي إليه من مفسدة(٥٨)، والإفضاء أمر غيبي، وقد لا يعلم تحققه قطعًا، وإنما هو نظر لمآلات الأمور بحسب العادة الجارية، وهذا نوع من الاجتهاد المبني على التطلع لما سيكون.

ويقرب من هذا ما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**لولا أنّ قومك حديثو عهد بجاهليّة، فأخاف أن تنكر قلوبهم، لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم**».(٥٩)

فقد بيّن النبي ﷺ أن تركه لهذا العمل، للمفاسد التي تترتب عليه، فاختار إبقاء الكعبة دون تغييرها،

وهذا تدخل في اختيار بديل مستقبلي مناسب بعد دراسة المستقبلات الممكنة.

٥- إخبار الشارع عن المستقبل وما يجب فيه تنبيهٌ على استشرافه والاستعداد له:

فقد جاء في الشرع أنواع كثيرة من الإخبار عن المستقبل؛ كأن عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى، وأن عمارًا رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية، وكيف يفعل الدجال في آخر الزمان، وأنّه في أيامه تختلف بعض الأيام في طولها، وأخبرهم بكيفيّة صلاتهم إذا أدركوا ذلك الأوان إلى غير ذلك من الأخبار.

فهذه أخبار كثيرة صادقة لورودها على لسان الشارع، وهي ترسم مستقبلاً معينًا، وتنبّئ بحصول أمور خاصّة، وإنما جاءت بذلك ليستعد المؤمن لها بما يجب عليه في حينها، مع أن بعضها تضمن -أيضًا- واجب الوقت، وهذا من رحمة الله بعباده.

٦- أنّ هذه الدراسات تتضمن مصلحة، والشرع يأمر بكل ما فيه مصلحة:

فالشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقول الجامع أنَّ الشريعة لا تهمل مصلحةً قط».(٦٠)

قال ابن القيم: «ومن له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالاتها، وأنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل الذي يفصل بين الخلائق، وأنّه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح تبيّن له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها.. قال ابن عقيل: السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي..». (٦١)

ومن تأمّل كثيرًا من أفعال الصحابة وجدها عملت لمصلحة الأمة، ولم يكن في خصوصها نصّ شرعيّ، كتحريق المصاحف، ووضع الديوان، والسجن وغير ذلك. (٦٢)

ثانيًا: الحكم التكليفي لدراسات المستقبل:

تبيّن مما تقدّم أنَّ النظر للمستقبل ودراسته ليس أمرًا غريبًا عن الإسلام، كما ظهر مما قدمناه أنّ الدراسة المستقبليّة أمرٌ مشروع في الجملة. وكل أمر مشروع فإنّه يتفاوت حكمه التكليفي بحسب الحاجة إليه. والظاهر لي أن حكم الدراسات المستقبليّة في هذا العصر أنّه: فرض كفاية، كسائر ما تحتاجه الأمّة.

ومعنى كونه فرض كفاية أنّه يجب على الدولة المسلمة إعداد دراسات مستقبليّة، أو تكليف جهة موثوقة تتولاها؛ بحيث تحصل الكفاية بعملها، كما يجب على الأمّة بمجموعها إعداد دراسات مستقبليّة توجه القوى الفاعلة فيها لما يجب عليها، وبذل جهدها في إعداد الكوادر القادرة على ذلك.

فإنّ فرض الكفاية هو كل ما يكون المقصود منه حاصلاً بفعل البعض، وهو منوط بغلبة الظن، فإن غلب على ظن المكلّف أنّ غيره لم يقم به، وجب عليه أن يفعله، وإن غلب على ظنّه قيام غيره بذلك الفعل سقط عنه التكليف. (٦٣)

ويدل على هذا الحكم ما يلي:

١- أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب:

ولا إشكال أنّ في الدراسات المستقبليّة حمايةً للأمة، وحسنَ تدبير لها، وإعداد العدة لمواجهة ما تحتاجه، وكل واحد منها واجب بنفسه، ولا يتم على أحسن حال إلا بمثل هذه الدراسات.

وإذا علمنا أنّ «الأمة مُجمِعة على إطلاق القول بوجوب تحصيل ما أوجبه الشارع، وتحصيله إنّما

هو بتعاطي الأمور الممكِّنةِ من الإتيان به»(٦٤) اتضح جليًّا وجوب تحصيل هذه الدراسات.

قال ابن تيمية رحمه الله: «.. يجب السعي في إصلاح الأحوال، حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ونحوها؛ كما يجب على المعسر السعي في وفاء دينه، وإن كان في الحال لا يُطلب منه إلا ما يقدر عليه، وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».(٦٥)

ولما بيّن الجويني ما يجب على الولاة من النظر في أمور الرعايا، والاطلاع على الغوامض والخفايا، ووجوب التيقظ والخبرة قال: «وليس من الحزم الثّقة بمواتاة الأقدار، والاستنامة إلى مدار الفلك الدّوار، فقد يثور المحذور من مكمنه، ويُؤْتَى الوادع الآمن من مأمنه».(٦٦)

٢- أن في هذه الدراسات دفع ضرر عن الأمّة، ودفع الضرر واجب:

ومعلوم أن من أصول الإسلام ومقرراته وقواعده: دفع الضرر، وقد قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**».(٦٧)، ويدخل في عموم هذا اللفظ أن الله يوجب على عباده دفع الضرر عن أنفسهم قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وهذا من محاسن الشريعة وعدلها وقيامها بمصالح العباد، ولما علم إمام الحرمين بأن نظام الملك خارج للحج أفتاه بحرمة خروجه له، وقال له: «أجمع المسلمون قاطبة على أن من غلب على الظن إفضاء خروجه إلى الحج إلى تعرّضه، أو تعرّض طوائف من المسلمين للغرر والخطر لم يجز له أن يغرّر بنفسه وبذويه».(٦٨)

٣-أنّ فيها مصلحة مهمّة، والشرع جاء بتحصيل المصالح:

فالله تعالى إنّما بعث الرُّسُل لتحصيل مصالح العباد فإذا وجدنا مصلحةً، غلب على الظن أنها مطلوبة شرعًا؛ لكونها فردًا من أفرادها، والعمل بالظن المعتبر واجب.

يجب على الأمّة بمجموعها إعداد دراسات مستقبليّة توجِّه القوى الفاعلة فيها لما يجب عليها، وبذل جهدها في إعداد الكوادر القادرة على ذلك

قال العز بن عبد السلام: «إذا عظمت المصلحة أوجبها الرب في كل شريعة، وكذلك إذا عظمت المفسدة حرّمها في كل شريعة».(٦٩)

٤- أنّ شواهد الشرع -مما سبق عرضه- تدل على الاهتمام بمثل هذه الدراسات، ورعايتها، وقد ذكر أهل العلم أنّ الاستعداد لما غلب على الظن حصوله مثاب عليه، قال ابن تيمية عن العلم بالكسوف والخسوف بالحساب: «وإذا جَوَّز الإنسان صدق المخبر بذلك، أو غلب على ظنّه، فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك، واستعد ذلك الوقت لرؤية ذلك، كان هذا من باب المسارعة إلى طاعة الله وعبادته».(٧٠)

فكيف بالاستعداد للواجبات من تحقيق المصالح المهمة، ودفع المفاسد الكبيرة، والله أعلم.

المبحث الثالث

المنهجيّة الإسلامية للدراسات المستقبليّة:

إن الدراسات المستقبليّة علم حديث، وهو مع حداثته ينضوي تحت العلوم التي صيغت صياغةً غربيّة، في إطار ثقافة الغرب العلمانية، ولأجل أن تحقق الأمة المصلحة من هذا العلم فلا بد أن تُصاغ هذه الدراسات على أساس التصوّر الذي ينسجم مع هويّة الأمة وتطلعاتها، كما لا بد أن تنضبط بضوابط الشريعة الإسلامية.

والقاعدة الشرعية أن الحق والحكمة يؤخذان أين وجدا، «فليس في الإسلام معاداةٌ للواقع، أو محاولة للبدء من نقطة الصفر، لذا فإنَّ المنهج الإسلامي الحضاريّ منهجٌ واقعي، يعتمد على ما أنجزه الآخرون، والإسلام لا يجد غضاضةً في الاستفادة من جهود الآخرين وما يتفق مع أساليبه وأدواته وتطلعاته وأصالته الفريدة التي تتبنى كل ما هو خير، وتقلع عن كل ما فيه دمار وشر.

وأسلمة حصاد الغرب والشرق أفضل من البدء من نقطة الصفر؛ لأنّ هذا سيمثّل تواصلاً مع العصر، ويتجاوز المرحلة البدائية» (٧١)، ما دام أنه غير متعارض مع عقيدة الإسلام ومنهجه. ولمّا كانت الدراسات المستقبليّة تقع في ميدان الثقافة الاجتماعية، فإنّ دور الشرع فيها هو النقد والتهذيب وبيان الضوابط.

وسأحاول في هذه الأوراق القادمة أن أعرض اجتهادات يسيرة في جمع ضوابط وموجِّهات، أرجو أن تفيد في هذا الباب، أو تقدم -على الأقل- تصوّرًا لبعض ما ينبغي التنبّه له عند إعداد الدراسات المستقبليّة وفق التصوّر الشرعي من خلال ثلاث مجموعات من الضوابط.

أولاً: ضوابط وموجِّهات للدراسات المستقبليّة عمومًا:

وهي ضوابط تشمل جميع أنواع الدراسات المستقبليّة، سواء منها الاستطلاعيّة أو المعياريّة.

١- ملاحظة السنن الكونيّة:

«من حكمة الله تعالى أن أجرى الكون والحياة الإنسانيّة على سنن ونواميس تتمثّل في قوانين مطّردة تجعل الأحداث مرتبطة ببعضها ارتباط مسبب بسبب أو نتيجةٍ بمقدّمة.

وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يحقق صور الاستثمار الكثيرة -التي حققها- في مجال الكون إلا بمعرفته بالسنن التي فطر الله الكون عليها -كقوانين الحركة والضوء ونحوها- مما ارتقى بحياته الماديّة إلى آفاق لم تخطر على بال السابقين؛ وكذلك فإنّه لن يرتقي بحياته الإنسانية والحضاريّة إلا بتعرّفه على السنن التي أجرى الله عليها حركة الحياة البشريّة من أجل أن يستثمرها، ويحسن التعامل معها لتستقيم حياته». (٧٢)

ولذا فقد أمر الله تعالى بالنظر والتفكّر في مسيرة الماضين -وهذا تنبيه على وجود السنن الكونيّة- وعدم انخرامها، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الروم:٤٢]. وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «وبالجملة فالقرآن من أوّله إلى آخره صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الكونيّة والأمريّة على الأسباب،.. ومن

تفقّه في هذه المسألة، وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع، ولم يتّكل على القدر جهلاً منه وعجزًا وتفريطًا وإضاعة، فيكون توكله عجزًا وعجزه توكلاً، بل الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر.. لكن يبقى عليه أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير، ويكون له بصيرة في ذلك؛ بما شهده في العالم وما جرّبه في نفسه وغيره، وما سمعه من أخبار الأمم قديمًا وحديثًا». (٧٣)

الفقيه كل الفقيه الذي يرد القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر .. لكن يبقى عليه .. أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير «ابن القيم»

٢- ملاحظة السنن الشرعيّة:

فقد جاءت النصوص الشرعيّة مبينة قوانين ونواميس وقواعد في حياة البشر؛ يجب اعتمادها في كل دراسة مستقبلية، كما يجب أن تُجعل ثوابت الشرع بُعدًا أساسيًّا في كل نتيجة يتوصل إليها.

وإذا كنا نطلب أن تُلاحظ السنن الربانية الكونية التي يستقرؤها المعتبرون في أحوال المجتمعات مع ما قد يعرض لها، فإن السنن الشرعية التي تحمل الصدق المطلق لا بد أن تُعتبر وتُلاحظ، بل وأن تُجعل المعيار الذي يُقاس به صدق استنباط الباحثين للسنن الربانية.

يقول ابن القيم في بقية كلام نقلت بعضه قريبًا: «ومن أنفع ذلك تدبر القرآن؛ فإنّه كفيل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعًا مفصّلة مبيّنة، ثم السنّة فإنّها شقيقة القرآن، وهي الوحي الثاني، ومن صرف إليهما عنايته اكتفى بهما عن غيرهما، وهما يريانك الخير والشر وأسبابهما حتى تعاين ذلك، فإذا تأمّلت أخبار الأمم وأيّام الله في أهل طاعته وأهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسُّنَّة، ورأيته بتفاصيل ما أخبر الله به ووعد به، وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلك على أنّ القرآن حقٌّ وأنَّ الرسول حَقٌّ، وأنّ الله ينجز وعده لا محالة، فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عَرَّفنا الله ورسوله من الأسباب الكليّة للخير والشر». (٧٤)

وبهذه السنن الشرعية، وبميزان الشرع يحكم الإنسان في اختلاف الباحثين في تفسير الظواهر وأسبابها، أو توقع نتائجها ومعطياتها.

وهذا من أفراد معنى أن المصدر الأساس للباحث المسلم في كل علم هو الكتاب والسنّة، وأنّ كل مصدر إنما يُعتبر بهما، **وإن من أمثلة السنن الشرعية المتعلّقة بما نحن فيه ما يلي:**

١- أنّه لا يمكن حدوث تغيير في أوضاع الأمة العامّة إلا إذا حدث تغيّر في أفرادها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[الرعد: ١١].

٢- أنه لا يتم الاستخلاف في الأرض والتمكين للإسلام وحصول الأمن إلا بتحقيق العبودية لله على الوجه المطلوب. قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[النور: ٥٥].

٣- أن عاقبة الظلم ونهايته: الهلاك قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[الكهف: ٥٩].

٤- استشراء الانحراف والبعد عن منهج الله تعالى

نتيجته عقوبة وفساد في الأرض. قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

٥- أن غزو الأجانب للبلاد ودخولهم إليها يدمر أخلاقها، ويقلب أوضاعها الاجتماعية. قال تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤].

قال ابن عباس: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قاله الرب عز وجل. (٧٥)

٦- أن عداء اليهود والنصارى للمسلمين لا يتغيّر ما داموا على دينهم. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٧- الأصل أنّ النصر لا يأتي إلا بعد الابتلاء. قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]

٨- لا بد من بقاء جماعةٍ من المسلمين على الحق، مستمرين على جهاد أعدائهم، ينتصرون عليهم في كل زمن. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**». (٧٦)

٩- أن العاقبة في كل الأحوالِ والظروفِ النصرُ للمتمسكين بشرع الله تعالى، ولو تأخّر ذلك. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[الصافات: ١٧١-١٧٣]. وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

٣- لا بُدَّ أن تكون الدراسة مبنيّة على قرائن ودلائل يمكن الاعتماد عليها:

وذلك أنها بدون ذلك تكون محض خيال لا اعتبار به، وقد قيل: لا عبرة بالتوهّم.

قال الشاطبي: «الاجتهاد في الشريعة ضربان: أحدهما: المعتبر شرعًا، والثاني: غير المعتبر، وهو الصادر عمّن ليس بعارف بما يفتقر الاجتهاد إليه؛ لأن حقيقته أنّه رأي بمجرد التشهّي والأغراض، وخبط في عماية، واتباع للهوى، فكل رأي صدر على هذا الوجه فلا مرية في عدم اعتباره؛ لأنّه ضد الحق الذي أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩]. (٧٧)

فإذا أريد قياس ومعرفة مدى قبول دراسة أو رأي فإنه يُنظر إلى ما استند إليه، وما استمدَّ منه، فإن كان دليلاً معتبرًا وإلا فلا يُعبأ به.

ومن الدلائل والقرائن: مراعاة إنتاجات العلم، وخصائص الأشياء، وتفاوت القوّة والقدرة بينها، ومثل النظر في الدراسات السابقة، ومراعاة الأحوال الاقتصاديّة والاجتماعيّة والصحيّة، والتحالفات العالمية والعلاقات، والظواهر الموجودة في الواقع، ونحو ذلك مما يرصده ويهتم به كثير من خبراء الدراسات المستقبليّة المحايدين.

ومن أهم ما يُعتنى به: التثبّت من الواقع والتعمّق في فهمه، وهذا يمكن إفراده ضابطًا مستقلاًّ لأهميته، لكنه مندرج في أدلة الدراسة، وهو مما لا بد من توافره فيها.

٤- الحذر عند استعمال المصطلحات:

ويمكن إدراك الخطورة في الدراسات المستقبليّة «حين ندرك التسيّب الحاصل في هذا المجال من

طرف المستعملين لمصطلحات اللّغة الأجنبيّة، المؤدي إلى إسقاط مصطلحات أعجميّة لم يدركوا معانيها من جميع أبعادها، وهذه الفوضى ليست فقط فوضى لغوية فقط، ولكنها فلسفية أيضًا». (٧٨)

فالمصطلح كلمة تعبر عن حقيقة اجتماعية وسياسية واقعة؛ إذ مصطلحات كل علم تنتمي إلى أصول بيئتها التي ترعرعت فيها وانطلقت منها.

والأصل في المصطلحات ثلاثة أمور:

١- أن تُفهم دلالتها بما تتضمنه من فلسفات وحضارات راعية ومغذية لها.

٢- وأن تُستعمل عوضًا عنها المصطلحات العربية واضحة الدلالة متى أمكن، ولم يحتج لاستعمال تلك المصطلحات.

٣- وإذا احتيج لاستعمالها فيجب أن يحدد المراد بالمصطلح قبل استعماله.

قال ابن تيمية: «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه -إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة- كمخاطبة العجم: من الروم والفرس، والترك بلغتهم وعرفهم، فإنّ هذا جائز حسنٌ للحاجة.

وإنما كرهه الأئمة إذا لم يُحتج إليه، ولهذا قال النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص -وكانت صغيرةً قد ولدت بأرض الحبشة-: «**يا أم خالد هذا سنا**»، والسنا بلسان الحبشة: الحَسَن؛ لأنها كانت من أهل هذه اللّغة. وكذلك يُترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم، ويترجمها بالعربيّة، كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلّم كتاب اليهود ليقرأ له، ويكتب له؛ حيث لم يأمن من اليهود عليه.

فالمصطلح كلمة تعبر عن حقيقة اجتماعية وسياسية واقعة؛ إذ مصطلحات كل علم تنتمي إلى أصول بيئتها التي ترعرعت فيها وانطلقت منها

فالسَّلَف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرّد ما فيه من الاصطلاحات المولّدة؛ بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه؛ لاشتمال هذه الألفاظ على معاني مجملة في النفي والإثبات.

فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات ووزنت بالكتاب والسنة: بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفى الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلّم بهذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا في الوسائل والمسائل، من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو الصراط المستقيم... فإذا عرف المعاني الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة، وعبّر عنها لمن يفهم بهذه الألفاظ ليتبيّن ما وافق الحق من معاني هؤلاء، وما خالفه. فهذا عظيم المنفعة، وهو من الحكم بالكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى: ﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ** ﴾ [البقرة: ٢١٣]

وهو مثل الحكم بين سائر الأمم فيما اختلفوا فيه من المعاني التي يعبرون عنها بوضعهم وعرفهم.

وذلك يحتاج إلى معرفة معاني الكتاب والسنة، ومعرفة معاني هؤلاء بألفاظهم، ثم اعتبار هذه المعاني بهذه المعاني ليظهر الموافق والمخالف». (٧٩)

٥- عدم الجزم بنتيجة الدراسة:

وهذا متبع في كل أمرٍ لا نص للشرع فيه، ولا إجماع قطعي. فالباحث عليه أن يستند لما يعضد رأيه من دلائل وقرائن وبينات، أمّا الجزم بنتيجتها فلا يكون في غير القطعيات المأمور بالجزم بها.

أما الطرق الظنية كدراسات المستقبل فإنها وإن جاز استعمالها، إلا أنه لا يجزم بنتيجتها؛ لئلا يخالف المقطوع به من عدم إدراك الغيب.

ويقرب من هذا أنّه لكونه دليلاً ظنيًا فإنه –أيضًا لا يسوغ الإلزام به، فكل رأي لم يستند لقاطع في الشريعة فإنه لا يسوغ لقائله أن يستبد به ويحتكر الصواب، بل الخطأ عليه وارد والخلاف سائغ، ولهذا مزيد بيان فيما يلي.

٦- هل يلزم العمل بنتيجة الدراسة ؟

الدراسة المستقبلية إنّما توجّه لأهل الحل والعقد في الأمّة، وللقوى الفاعلة في المجتمع، ولا توجه للعامّة.

وعليه فإن من يقرأ الدراسة ويطّلع على نتائجها مؤهّل للاقتناع بما تضمنته، أو معارضته بما يقتنع به.

وإذا اقتنع –من تقع عليه تَبِعَة الأخذ بالدراسة– بنتيجتها، أو غلب على ظنه صحتها، فإنه يلزمه العمل على وفقها؛ لأنّه قد غلب على ظنّه صدقها، والإنسان مطالب بالعمل وفق غلبة ظنّه، ولو ترك ذلك لكان تاركًا لما يجب عليه.

وأما إن لم يقتنع بها؛ لوجود ما يعارضها معارضة تمنعه من الأخذ بها، أو تجعلها محل شك لديه، فهذا لا حرج عليه في عدم العمل بنتيجة الدراسة؛ لأنها قد قام في مقابلها ما يمنع اعتبارها ظنًّا يطالب بالعمل على وفقه، كما أنّه سيترك اجتهاده لاجتهاد غيره، وهذا غير سائغ.

ويدل على ذلك قصّة غزوة أحد، فإنّ النبيّ ﷺ مع أنّه استشرف أنَّ بقاءه في المدينة خير له، خرج لقتال المشركين؛ لأنه قد قام في مقابل استشرافه رأي أهل المشورة، الذين أُمر بالاستعانة برأيهم ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرًا منحرة، فأوّلت أنّ الدرع الحصينة: المدينة، وأن البقر هو والله خَيْر**. قال فقال لأصحابه: **لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم**. فقالوا: يا رسول الله والله ما دُخل علينا فيها في الجاهليّة، فكيف يُدخل علينا فيها في الإسلام؟ فقال: **شأنكم إذًا**، قال: فلبس لأمته. قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذًا. فقال: **إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**». (٨٠)

وإن توقف فلم يغلب على ظنّه شيء، فلعل الأقرب أنّه لا يلزمه العمل بنتيجة الدراسة، ومبنى ذلك أن الأصل إناطة الحكم التكليفي بالوجود، وبغلبة الظن وكلاهما معدوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأصول الشريعة كلها مستقرّة على أنّ الاحتياط ليس بواجب ولا محرم». (٨١)

٧- أن الواجبات الشرعيّة لا تُترك ولا تُؤخر ولو كان المستقبل سيئًا:

فالمسلم مُطالب بما أوجب الله عليه، مأمور بما جاء في الشرع إيجابًا أو ندبًا، سواء كان ينتظر نتيجة لعمله، أو كان المستقبل لا يدعو لمثل هذا العمل.

وقد قال النبي ﷺ: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها**». (٨٢)

وقد أمرنا بالعمل، ولم يجعل لذلك أمدًا إلا بانقضاء الأجل قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٩] .

وإنّ من الواجب على المسلم أن يدافع قدر الله تعالى بقدره، فإن عمل الأسباب لا يعارض القدر بل هو منه.

ولما خرج عمر رضي الله عنه إلى الشام، فأُخبر أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فأجمع أمره على أن يرجع بالناس، ولا يقدمهم على الوباء ونادى في الناس: «إني مصبِّح على ظهر فأصبحوا عليه. قال له أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله؟ قال عمر: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله».(٨٣)

فإن تحقق مراده كونًا، وإلا فقد حقق ما أُمر به شرعًا.

٨- المعرفة بالطبيعة الإنسانية، ومراعاة التوازن في حاجات النّفس عند تقديم الحلول ومعالجة المشكلات:

إنّ كثيرًا ممن تأملوا سبب فشل كثير من النظريات الوضعيّة في معالجة المشاكل البشريّة، وتحقيق التوازن المطلوب للإنسان رَدُّوه إلى الجهل بحقيقة الإنسان وطبيعة تكوينه.

فالله تعالى ركَّب الإنسان من غرائز تحفِّز صاحبها لإشباعها؛ كغريزة الأكل والشرب والجماع والتملك، كما ركَّب فيه نوازع روحيّة توجِّه صاحبها نحو الارتقاء بإنسانيته.

والمنهج الذي يلبي تلك الغرائز والنوازع فلا يلغي شيئًا منها، ولا يضخمه على حساب غيره هو الدين الإسلامي؛ لأنّه من عند الله تعالى، الذي خلق الإنسان فهو أعلم بما يصلحه ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

ولذا فإنّ كل دراسة تجعل من التصور الإسلامي معيارًا لها لا بد أن تراعي هذا المنهج؛ فتصون الإنسان عن الوقوع في المعالجات الخاطئة.

فمثلاً نجد أن عددًا ممن فُتِنُوا بالتقدّم والتطوّر العلمي يدّعون أن المستقبل هو لمن له تقدّم واضح في المجال الاقتصادي والميدان التّقني، وربما قرروا أن سبب التخلف هو الضعف العلمي؛ دون أن يعالجوا ظواهر النسيج الاجتماعي الذي يتبلور فيه الاقتصاد، ولا المناخ الثقافي الذي تتطور فيه التقنية؛ فيغفلون عن الجانب العقدي الديني، ودور غياب الإيمان والعلم الشرعي والوعي الحضاري في مصادرة واضحة لنوازع الإنسان الفطريّة. (٨٤)

٩- الإيمان بالقضاء والقدر:

وهذا ضابط من ضوابط كل ناظر لواقعه أو مستقبله، فإن كل ما في هذا الكون إنما يجري بأمر الله تعالى، فما كان فيه من أمور تجري على خلاف مراد العبد ومصلحته، فإنّه بإيمانه بالقضاء والقدر يدرك أن في هذا الابتلاء حكمًا عظيمة من تمحيص للمؤمنين، ورجوع لله تعالى، ورجوع للنفس بالبحث عن أسباب التقصير لتلافيها، فالله تعالى حكيم عليم.

فليتلمس الباحث النعم التي هي في طيّ المحن والمصائب؛ في ضوء قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- بعضًا من الحكم والغايات التي كانت في وقعة أحد، وما أصاب المسلمين فيها فقال: «**فمنها**: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن ما أصابهم إنما هو بشؤم ذلك؛ فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول

وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظةً وتحرزًا من أسباب الخذلان.

ومنها: أن يتميّز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبّب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دُورِهم، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا وأظفرهم بعدوهم في كل موطن؛ لطغت نفوسهم ، فلا يُصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبّر لعباده كما يليق بحكمته.

ومنها: أنهم يذلون وينكسرون فيتوجبون العز والنصر، فإن خلقة النصر إنما تكون مع الذل والانكسار؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقال: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[التوبة: ٢٥].

ومنها: أنّ الله سبحانه إذا أراد أن يُهلك أعداءه ويمحقهم، قيّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومَحْقَهم، ومن أعظمها بعد كفرهم: بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم وقتالهم والتسلّط عليهم.

فمن أنكر أن يكون قدّر ما قدّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة، وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئةٍ مجردةٍ عن حكمة، وغايةٍ مطلوبةٍ هي أحبّ إليه من فوتها.. فقد ظن بربه ظن السوء». (٨٥)

١٠- أن يكون دافع الدراسة رضى الله تعالى:

فإن كل عمل لا يكون دافعه الرغبة في رضى الله تعالى ونيل ما عنده لا يصاحبه التوفيق، ولا تقارنه المباركة، ولذا افتتح كثير من المحدثين كتبهم بحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**» (٨٦)؛ تنبيهًا لهذا المعنى، وهو مراعاة الإخلاص في العلم والعمل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٨].

قال ابن القيم: «متى خلصت الأبدان من الحرام وأدناس البشريّة، وطهرت الأنفاس من علائق الدنيا: أنبتت من كل زوج كريم من علم، وفائدة وتعرّف، فاجتنى منها صاحبها: أنواع الطُّرَف والفوائد». (٨٧)

وإذا شرع في دراسة جاعلاً رضى الله تعالى هدفه، والإخلاص له مقصده تحقق له التوفيق بإذن الله، وإن للالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار بإلحاح وتضرّع وذلة ومسكنة أثرًا عظيمًا في تذليل الصعاب والتوفيق والنتائج.

وإن للالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والاستغفار بإلحاح وتضرّع وذلة ومسكنة أثرًا عظيمًا في تذليل الصعاب والتوفيق والنتائج

١١- مراعاة أدبيات منهج البحث العلمي في دراسات المستقبل:

فإنّ لكل علم ودراسة منهجًا يتضمن قواعد للبحث والملاحظة والاستنتاج، لا بد لكل باحث أن يراعيها، ما لم يكن فيها محظور.

ولدراسات المستقبل جملة من قواعد البحث يعرفها المختصّون لا بد من مراعاتها؛ لتكون النتائج مقبولة في ضوء هذا النوع من الدراسة.

ومن أبرزها: الشمول، والنظرة الكليّة للأمور، وتفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر

المدروسة، والتعمّق في فهم ما يُؤخذ به الواقع من علاقات، والحياديّة، وعدم الانحياز(٨٨) والمزج بين الأساليب والمزاوجة بينها، والرصد الجيّد للماضي والحاضر باتجاهاته وتجاربه.(٨٩)

ثانيًا: ضوابط خاصّة بالدراسات الاستطلاعيّة:

وهي ضوابط تضاف لما سبق من ضوابط وموجِّهات لكل أنواع الدراسات المستقبليّة:

١- التفاؤل:

فالتفاؤل وترك اليأس خُلُق فاضل يستصحبه المسلم حتى في أحلك الظروف؛ لأنّه من إحسان الظنّ بالله تعالى الذي جعل مع العسر يسرًا.

والتفاؤل من موجِّهات الدراسات الاستطلاعيّة، فيبقى في الدراسة -مهما كانت الظروف- مكان للتفاؤل بحسن العاقبة، والاستبشار بنصر الله تعالى ووعده الصادق، مع إعطاء هذا التفاؤل حظه الذي لا يبالغ فيه حتى يتحول حلمًا أو أمنية مجردة.

وقد تمثّل النبي ﷺ هذا الخُلُق في موقف من أصعب المواقف. وهو ما حكاه لعائشة رضي الله عنها بقوله: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما رَدّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، وسَلّم عليّ، ثم قال: يا محمد إنّ الله قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**». (٩٠)

التفاؤل من موجِّهات الدراسات الاستطلاعيّة، فيبقى في الدراسة -مهما كانت الظروف- مكان للتفاؤل بحسن العاقبة، والاستبشار بنصر الله تعالى ووعده الصادق

ثالثًا: ضوابط خاصّة بالدراسات المعياريّة:

وهي المتعلّقة بالمستقبل المأمول، وهذه الضوابط تضاف لما سبق من ضوابط عامّة:

١- العدل والإحسان:

أمر الله تعالى بالعدل والإحسان فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠].

فالعدل: هو القسط والموازنة، والإحسان: أحسن من ذلك وفوقه.

فإذا صُبِغت المستقبلات المأمولة على مقتضى العدل والإحسان، كانت موافقةً لأمر الله تعالى، فلا يُفرض فيها مستقبل يُظلم فيها أحد، أو تُهدر فيه إنسانية مجتمع أو كرامته، لتحقيق مصالح مجتمع معين، بل يبقى العدل ويبقى الإحسان مطلبين في الواقع، وفي الأمل.

٢- عقلانية التعامل مع التحوّلات المستقبليّة:

فعند صياغة المستقبل المأمول لا بد أن يراعى أن يكون التحوّل متدرجًا متواكبًا مع سنن الله تعالى الكونية، مبنيًّا على إدراك مستوى الواقع ومفرزات ظروفه، والمدة اللازمة لتجاوزها، وإلا صار ضربًا من الخيال والأماني المجردة.

ومن تأمل تدرج التشريع في أنواع من الواجبات والمحرمات تبيّن له أن ملاحظة هذه العقلانية في التغيير لا بد منها.

وقد وجّه النبي ﷺ إلى مراعاة ذلك فقال: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»**.[٩١]

خاتمة:

وبعدُ، فهذه عجالة حاولت فيها أن أقدم تصورات ونظرات يسيرة لبعض ما يمكن أن يتنبه له من يعالج هذا العلم، مما أرجو أن يكون محاولة نظريّة لتأصيله إسلاميًّا، ومتى توفرت الإرادة الجازمة والنيَّة الحسنة فإن الأمة يمكنها -بتوفيق الله تعالى- مستعينة بدراسات مستقبليّة مصوغة صياغة إسلاميّة، ومنضبطة بضوابط الشريعة؛ أن تتدرّج في الوصول إلى مستقبلها المرغوب مهما كان بينها وبينه.

ومما ينبغي أن يُهتم له، ويمكن أن يُذكر في هذا الموضع:

- ضرورة العناية بدراسات مستقبليّة دعويّة، يطلع عليها القائمون على المحاضن والأساليب الدعوية؛ ليستفيدوا منها، ويبنوا عليها نشاطهم وتوجهاتهم.

- إعداد ضوابط لفقهٍ ارتياديّ يدرس الأمور المتوقعة مما يحتاج لمعرفة حكمه، استعدادًا له، متلافيًا تأخير البيان عن وقت الحاجة، ومتلافيًا أيضًا ما نهى عنه السَّلف من السؤال عما لم يقع، بضبط هذا الباب بالضوابط الشرعيَّة المناسبة.

اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين.

الهوامش:

(١) صحيح مسلم (١١٧).
(٢) صحيح مسلم (٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠/ ٤٢٦)، دار عالم الكتب؛ تفسير القرطبي (٩/ ٢٨٩).
(٤) (١٣/ ٣٦٥).
(٥) مجموع الفتاوى (١٦/ ١١٠). وانظر أيضًا (٢٤/ ٢٥٧، ٢٥٨) و (٣٥/ ١٨١).
(٦) صحيح البخاري (٤٦٢٧).
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١/ ٨٦).
(٨) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٤٢٥).
(٩) تضمين من مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٤٢٤، ٤٢٥).
(١٠) مقدمة تفسير ابن كثير (١/ ١٠).
(١١) صحيح البخاري (٧٣٦٢).
(١٢) فتح الباري (٨/ ١٧٠).
(١٣) صحيح البخاري (٧٣٦٣).
(١٤) سنن أبي داود (٣٩٠٥)، سنن ابن ماجه (٣٧٢٦)، مسند أحمد (١/ ٢٧٧)، سنن البيهقي (٨/ ١٣٨)، وإسناده صحيح.
(١٥) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).
(١٦) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٣).
(١٧) مجموع الفتاوى (٤/ ٧٩).
(١٨) أبجد العلوم (٢/ ١٨١، ١٨٢)، مقدمة ابن خلدون، ص٢٦٢، دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي (٥/ ١٢٥).
(١٩) هو استخدام الحروف العربية المرتبة بالطريقة الأبجديّة للدلالة على أرقام حسابيّة. انظر: الموسوعة العربيّة العالمية (١/ ٦٠).
(٢٠) مجموع الفتاوى (٤/ ٨٠)، أبجد العلوم (٢/ ١٩٩)، مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٣.
(٢١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٥٧).
(٢٢) تفسير الطبري (١/ ٢١٦)، سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٧).
(٢٣) في موقع إسلام أون لاين نقل لنص افتراء المدعو: رشاد خليفة ودعواه المذكورة. وانظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤١٥).
(٢٤) يعقوب بن إسحاق بن الصبّاح الكندي فيلسوف معروف، له مصنفات في المنطق والنجوم والفلسفة، كان متهمًا في دينه، توفي عام ٢٦٠هـ. انظر: لسان الميزان (٦/ ٣٧٣)، الأعلام (٨/ ١٩٥).
(٢٥) تضمين من مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢٦) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ٤٥٧)، فتح الباري (٨/ ٣٧٤)، (١٢/ ٣٦٢).
(٢٧) مجموع الفتاوى (٤/ ٨٠).
(٢٨) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود التويجري؛ الصحيح المسند من دلائل النبوة لمقبل الوادعي.
(٢٩) صحيح مسلم (٢٨٩٢).
(٣٠) صحيح البخاري (٦٦٠٤)، صحيح مسلم (٢٨٩١).
(٣١) الطريق إلى اكتشاف المستقبل، مقال بمجلّة المستقبلية، العدد الأول، ص ٢١٣.
(٣٢) المصدر السابق.
(٣٣) انظر: الدراسات المستقبلية مفهومها، أساليبها، أهدافها، للدكتور طارق عبد الرؤوف عامر، ص ٢١، ٢٧، وفيه تتبع لنشأة وتطور الدراسات المستقبلية؛ إطلالة على دراسات المستقبل لعبد الرحمن المشيقح، ص ٩، فما بعدها. وانظر في البدايات الأولى لنشأة وتطور الدراسات المستقبلية، وارتباطها براويات الخيال العلمي والنظريات والمذاهب الفكرية: مجلة المستقبليّة العدد الأول، ص ٣٧؛ كيف نكتشف مستقبلنا في عالم متغيّر، زكي الميلاد.
(٣٤) إن دراسة الجدوى الاقتصاديّة ومماثلاتها، مع وجود مقدار من الاحتماليّة فيها، إلاّ أنّها تظل رصدًا لواقع محدد، ومشاريع مماثلة، وهي بهذا أدق في النتائج من دراسة المستقبل، وأحسب أن الضوابط التي سترد في بحثنا يمكن تطبيقها عليها في الجملة.
(٣٥) لسان العرب (٦/ ٧٩)، المعجم الوسيط (١/ ٢٧٩).
(٣٦) معجم مقاييس اللّغة (٥/ ٥١)، لسان العرب (١١/ ٥٤٥).
(٣٧) المنجد، ص ٩٤٨.
(٣٨) الدراسات المستقبلية للدكتور طارق عامر، ص ٢٩.
(٣٩) صور المستقبل العربي للدكتور إبراهيم سعد الدين وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٥.
(٤٠) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د/ أحمد زكي بدوي، ص ١٧١.
(٤١) الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي، د/ أحمد صدقي الدجاني، مقال بمجلّة المستقبلية، العدد ٢، ص ١٧.
(٤٢) مستقبل الأمة العربية التحديات والخيارات، خير الدين حسيب وآخرون، ص ٤٠.
(٤٣) انظر: مفهوم وموضوع مصطلح المستقبليّة، للدكتور محمد بريش، مجلّة المستقبل العربي، عدد ٤٤؛ وندوة الدراسة المصطلحيّة والعلوم الإسلامية (٢/ ٧١٨).
(٤٤) الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الإسلامي، مقال بمجلّة المستقبلية، العدد ٢، ص ٣٦.
(٤٥) الواقع والمستقبل: من المفرد إلى الجمع، للدكتور عز الدين البوشيخي، بحث مطبوع ضمن ندوة (نحو فقه سديد لواقع أمتنا المعاصر) (٢/ ٢٩١،٢٩٠)، الدراسات المستقبلية للدكتور طارق عامر، ص ٩٥، ٩٦.
(٤٦) انظر: إطلالة على دراسات المستقبل، ص ٢١، ٦٤؛ والدراسات المستقبلية، ص ٣٠ - ٣٥؛ محاضرة ندوة نحو فقه سديد لواقع أمتنا المعاصر (٢/ ٢٨٩).
(٤٧) كتاب: صدمة المستقبل، ألفين توفلر، ترجمه محمد علي ناصف، ص ٦.
(٤٨) تضمين من: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء (٣/ ١٦٩) بواسطة المستقبلية (١/ ٤٠).
(٤٩) صحيح البخاري (٣)، صحيح مسلم (١٦١).
(٥٠) صحيح مسلم (٣٠٠٥).
(٥١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٤٢٤).
(٥٢) هي قرى العراق وضياعها، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار، وهم يسمون الأخضر سوادًا. معجم البلدان (٣/ ٢٧٢).
(٥٣) صحيح البخاري (٣١٢٥).
(٥٤) الأموال لأبي عبيد، ص ٥٩؛ المحلى لابن حزم (٧/ ٥٦٠).
(٥٥) فتح الباري (٦/ ٢٥٩).
(٥٦) تفسير البيضاوي (١/ ٤٨٦).
(٥٧) انظر: المرجع السابق.
(٥٨) الموافقات للشاطبي (٣/ ٢٥٧). وانظر: شرح الكواكب المنير (٤/ ٤٣٤).
(٥٩) صحيح البخاري (١٥٨٤)، صحيح مسلم (١٣٣٣).
(٦٠) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٤٤).
(٦١) الطرق الحكمية، ص ١٠، ٢٠.
(٦٢) انظر: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للشنقيطي، ص ١٧٥، ١٧٦؛ المصلحة العامة من منظور إسلامي لفوزي خليل.
(٦٣) نهاية الوصول في دراية الأصول لصفي الدين الأرموي (٢/ ٥٧٢).
(٦٤) المرجع السابق (٢/ ٥٨٠).
(٦٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٥٩).
(٦٦) غياث الأمم، ص ١٦٩.
(٦٧) سنن ابن ماجه (٢٣٤٠)، مسند أحمد (٥/ ٣٢٦)، سنن الدارقطني (٤/ ٢٢٨) عن عبادة بن الصامت وابن عباس وأبي هريرة، وهو بمجموعه حسن. انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ٢٠٧)، إرواء الغليل (٨٩٦).
(٦٨) غياث الأمم، ص ١٦٤.
(٦٩) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٦١).
(٧٠) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٥٨).
(٧١) تضمين من: تأملات في منهج المستقبليّة الإسلامية، د/ وهبة الزحيلي. المستقبليّة (١/ ١٥٩).

(٧٢) تضمين من بحث بعنوان: حقيقة فقه الواقع، مطبوع ضمن ندوة: نحو فقه سديد لواقع أمتنا المعاصر (١/٣٣٨) الدكتور عبدالرحمن الزنيدي.
(٧٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ١٤.
(٧٤) المرجع السابق.
(٧٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠/ ٤٠٥).
(٧٦) صحيح مسلم (١٩٢٤).
(٧٧) الموافقات (٤/ ١٦٧).
(٧٨) نحو صياغة معاصرة للمصطلح المستقبلي، محمد بريش، مطبوع ضمن ندوة الدراسات المصطلحيّة (٢/ ٧٢١) وانظر: مناهج البحث في العلوم الإنسانية للدكتور مصطفى حلمي، ص ١٩٨.
(٧٩) مجموع الفتاوى (٣/٣٠٦-٣٠٨). وموضوع المصطلح وما يتعلق به من أحكام وضوابط موضوع مهم، ولعل الله تعالى أن يُيَسّر من يتناوله بسطًا وإيضاحًا.
(٨٠) مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٠٠).
(٨١) مسند أحمد (٣/ ٣٥١)، سنن الدارمي (٢/ ١٢٩)، مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٦٤)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٠٨). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٠٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
(٨٢) مسند أحمد (٣/ ١٨٣)، الطيالسي (٢٠٦٨)، الأدب المفرد للبخاري (٤٧٩)، بسند صحيح، السلسلة الصحيحة (٩).
(٨٣) صحيح البخاري (٥٧٢٩)، صحيح مسلم (٢٢١٩).
(٨٤) انظر: نحو صياغة معاصرة للمصطلح المستقبلي (٢/ ٧٢٥)، حقيقة فقه الواقع وبعض إشكالياته (١/ ٣٣٥)
(٨٥) زاد المعاد (٣/ ١٩٦، ٢٠٦) باختصار.
(٨٦) صحيح البخاري (١)، صحيح مسلم (١٩٠٧).
(٨٧) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٣).
(٨٨) العرب والعالم. د/ علي هلال وآخرون، ص ٣٧٤.
(٨٩) انظر: الدراسات المستقبلية. د/ طارق عامر، ص ١٢٧.
(٩٠) صحيح البخاري (٣٢٣١)، صحيح مسلم (١٧٩٥).
(٩١) سنن أبي داود (٤٩٥)، سنن الترمذي (٤٠٧) وسنده حسن.

معلومات إضافية

بدايات علم المستقبل في الغرب:

بدأ علم المستقبليات بالظهور والتبلور في الغرب، في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، حينما شرع علم «التفكير من خلال النظُم Systems Thinking »، يأخذ طريقه إلى الدراسات، السياسية والإنسانية. ثم تطور فأمسى علم «ديناميكية النظُم Dynamics System»، الذي طبقته، أول مرة، الأمم المتحدة، في «نادي روما Club of Rome» لدراسة نمو الموارد العالمية، في أوائل الستينيات؛ وظهرت أهميته، آنئذٍ، في التحديات التي يفرضها على نماذج التفكير المعتادة لدى الفرد أو المجموعة؛ وفي مواجهة القصور، الذي تعانيه السياسات، في كافة المجالات، بالمقارنة بالتقدم في المجالات العلمية الأخرى. وهذا العلم يُعَدّ، اليوم، النظام الخامس لِما يسمَّى «المؤسسات الذكية Fifth Discipline of Learning Organi »

وقد شهدت فترة الستينيات من القرن الماضي تطورًا ملحوظًا في علم المستقبليات بعد انتهاء ما يسمى أزمة الصواريخ السوفييتية في كوبا، وقد أعلن روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع الأمريكي، وقتئذٍ، «أن هذه الأزمة، آذنت بنهاية عصر الاستعدادات العسكرية، وبداية عهد جديد، يسمى إدارة الأزمات» مما حفَّز الاستعدادات إلى الاعتماد على الدراسات الاستراتيجية، لرسم تصور كامل للأزمات والحوادث المستقبلية.

نحو دراسات مستقبلية إسلامية، بحث في علوم المستقبل، زهير الأسدي

http: / /www.kitabat.com /alasadi_5.htm

الدراسات المستقبلية:

تقوم الدراسات المستقبلية على متابعة عدد من المتغيرات، وتتبُّع اتجاهاتها الحالية فيما يخص مختلف المجالات، واعتمادًا على هذه البيانات يتم خلق سيناريوهات مختلفة للأحداث المستقبلية المحتملة، والتي يتم إدراجها في التخطيط الاستراتيجي الخاص بأيٍّ من تلك المجالات.

السيناريو:

وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، ويتم ذلك انطلاقًا من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض.

ظهور علم المستقبليات:

ظهر مجال الدراسات المستقبلية خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها، حيث تزايد معدل تغير كثير من مجالات الحياة؛ بسبب التغيرات التكنولوجية، مما دفع الحكومات والمؤسسات والأفراد إلى محاولة فهم هذا التغيير وإسقاطاته على المستقبل الذي سيعيشون فيه.

الدراسات المستقبلية بين التجارب والتطبيق، ١٠ أغسطس ٢٠٠٣،

مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء المصري

خصائص الدراسات المستقبلية

١- لا تعني مجرد التنبؤ «Predicting» بالمستقبل.

٢- تساعد في خلق خيارات متعددة للمستقبلات؛ من خلال تقديم احتمالات مختلفة.

٣- أساس للتخطيط.

٤- عابرة للتخصصات «Interdisciplinary».

٥- تعتمد غالبًا على كل من التخيل والمعرفة التاريخية.

٦- تهدف غالبًا لصياغة المستقبل من خلال تصرف ما في الحاضر.

نبذة عن قواعد المعرفة الخاصة بالدراسات المستقبلية:

بدأت في التطور منذ منتصف التسعينيات نتيجة لما يلي:

- التطور المستمر في الدراسات المستقبلية.
- الزيادة المستمرة في تعقد المنهجيات المستخدمة.
- النمو المتزايد في حجم الأدبيات التي تهتم بهذا الموضوع.

- ظهور عدد كبير من المؤسسات التي تهتم بالمستقبل في العالم كله.

- القيـود التي تواجـه المعرفة، وعدم القدرة على رؤية كل النتائج المترتبة على تصرف معين أو عدم التيقن.

أهمية قواعد المعرفة المستقبلية:

١- إطـار مرجعي وخريطة أساسـية **Meta-map** يتم من خلالها تنظيم العناصر الأساسـية في الدراسات المستقبلية.

٢- تسـاهم في تطوير مجال الدراسـات المسـتقبلية نفسـه من خلال المسـاهمة في بناء هيكل واضح.

٣- تجعل عمل المستقبليين في العالم كله سهل الوصول إليه **More Accessible**.

الدراسات المستقبلية وإدارة المعرفة،

مركز الدراسات المستقبلية، يناير ٢٠٠٥،

مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء المصري

الفرق بين الدراسات المستقبلية والتنبؤ التقليدي:

يمكن التفرقة بينهم في أربع نقاط رئيسية هي:

١- **المدى الزمني**: تتعامل الدراسـات المستقبلية مع مدى زمني أطول من ذلك الذي يتناوله التنبؤ التقليدي.

٢- **معدلات التغير**: تتعامل الدراسـات المسـتقبلية مع درجات من التغير أعلى من تلك التي يعتمد عليها التنبؤ التقليدي.

٣- **البدائل**: تتعامل الدراسـات المسـتقبلية مع بدائل مختلفة للموضوع محل البحث؛ نتيجة لعدم القدرة على معرفة التغيرات في الأجل الطويل.

٤- **أساليب التحليل**: تستخدم الدراسات المستقبلية أساليب للتحليل الكمي والكيفي، بينما يعتمد التنبؤ التقليدي على أساليب كمية فقط.

تقنيات الدراسات المستقبلية:

ينطوي استشراف المستقبل على عناصر ثلاثة رئيسية للبحث، وهى: الشق المعملي، والوصفي، والتاريخي.

ويمكن حصر أهم التقنيات المستخدَمة في الدراسات المستقبلية في:

- استبيان «ديلفي» Delphi Surveys ، واستطلاعات الرأي، والمسوح الميدانية.

- المنهجيات الإحصائية: كالاستقراء، والانحدار، والارتباط، والتباين.

- التحليل المقارن، والسيناريوهات.

- نماذج المحاكاة والمناظرات، وحلقات النقاش.. وغيرها من آليات ديناميكية المجموعة Group Dynamics Techniques.

- النمذجة، والنظم الديناميكية (Dynamic systems and computer modeling): توضح كيف يتفاعل عدد كبير من المتغيرات مع بعضها البعض عبر الزمن.

- Cross impact analysis: توضح كيف تتفاعل الاختيارات الخاصة بمتغير ما بالاختيارات الخاصة بباقي المتغيرات، وهي في ذلك تقوم بخلق جدول يتضمن كافة البدائل الًممكنة، وتحديد ما هو المقبول وغير المقبول منها.

- التخطيط قصير، ومتوسط، وطويل الأجل.

- (Relevance Trees): وهو أسلوب لاستعراض تسلسل الأحداث وتحديد الموقف اليوم، وما يمكن أن يكون عليه في المستقبل.

- التنبؤ (Forecasting): ويعمل على التنبؤ بالتطورات والاتجاهات المستقبلية ووقت حدوثها، ويُعد هذا الأسلوب غاية في الأهمية؛ خاصة في ظل التقدم التكنولوجي.

- تقييم الأثر التكنولوجي (Technological impact assessment): تهتم بالكيفية التي تؤثر بها التكنولوجيات الحديثة على كل من البيئة والمجتمع.

- الخيال العلمي (science fiction): ويقوم على أساس السرد لما يمكن أن يحدث في المستقبل الاجتماعي، أو على الساحة العالمية؛ على أساس سيناريو محدد يتم فيه التفاعل بين الشخصيات المختلفة وتلك الأحداث.

تجارب دولية في مجال الدراسات المستقبلية:

- مؤسسة فيوتشربلز للدراسات المستقبلية.
- معهد الدراسات المستقبلية بكوبنهاجن.
- معهد الألفية.
- المعهد الأسترالي لاستشراف المستقبل.
- مركز فنلندا للدراسات المستقبلية.
- وحدة الرؤى/ الاستطلاعات المستقبلية بمركز الدراسات الفنلندي.
- مركز المستقبليات البديلة.
- معهد دراسات المستقبل.
- معهد فلوريدا للتنمية المستدامة.
- لجنة المستقبل بالبرلمان الفنلندي.

الدراسات المستقبلية بين التجارب والتطبيق،

مجلس الوزراء المصري،

مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، ١٠ أغسطس ٢٠٠٣